بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإسلامية / بغداد



ظاهرة الإعراب في اللغة العربية

اطروحة تقدم بها الطالب

سعدون طه سرحان العجيلي

الى مجلس كلية اللغة العربية وعلوم القرآن
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه
فلسفة آداب اللغة العربية / تخصص (لغة و نحو)

باشراف الاستاذ الدكتور

رشيد عبد الرحمن العبيدي

١٤٢٧هـ بغداد ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

المجادلة / ١١

إقرار المشرف

أشـهد أن إعداد هذه الاطروحـة (**ظـاهرة الاعـراب فـي اللغـة العربيـة**) قد جرى باشرافي في كلية (اللغة العربية وعلوم القرآن) الجامعة الاسلامية ـ بغداد وهـي جـزء مـن متطلبـات نيـل درجـة الـدكتوراه / فلسـفة آداب اللغـة العربيـة/ تخصص(لغة و نحو) .

التوقيع :
الاسم : الاستاذ الدكتور
رشيد عبد الرحمن العبيدي
المشرف
التأريخ : ٢٠٠٦/٥/٢٠

بناءا على التوصيات المتوفرة ارشح هذه الاطروحة للمناقشة

التوقيع :
الاسـم : الدكتور شاكر محمود السعدي
رئيس قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نحن اعضاء هيأة لجنة المناقشة . اطلعنا على الاطروحة الموسومة بـــ
(ظاهرة الإعراب في اللغة العربية)
المقدمة من الطالب (**سعدون طه سرحان العجيلي**) في كلية (اللغة العربية وعلوم القرآن) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ونقر جديرة بالقبول لنيل الدكتوراه / فلسفة آداب اللغة العربية/ تخصص(لغة و نحو) بتقدير (جيد جداً) في يوم (الثلاثاء) (٢) لشهر جمادى الثانية / ١٤٢٧ هـ الموافق / ٢٧ /٦ / ٢٠٠٦ م .

أ.د.
نهاد فليح حسن العاني
رئيساً

أ.م.د.
مجيد نوط الشمري
عضواً

أ.م.د.
نهاد حسوبي صالح
عضواً

أ.م.د.
سحاب محمد رشم
عضواً

أ.م.د.
محمد علي حمزة
عضواً

أ.د.
رشيد عبد الرحمن العبيدي
عضواً مشرفاً

صادق مجلس كلية (اللغة العربية وعلوم القرآن) على قرار اللجنة .

أ.م.د.
عبد الله حسن الحديثي
العميد
٢٠٠٦/٦/٢٨

المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين المنزل كتابه بلسان عربي مبين ، والصـــلاة والســـلام على سيد المرسلين سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله الطيبين الطـــاهرين وأصـــحابه الغر المحجلين الميامين ،

أما بعد ؛

فلم أجد شيئاً يشدني أكثر من القرآن ، ويستهويني مثل قراءته ، وقد ألفـــت سماعه وسط بيئة ترنمت به فكان لها الأثر الكبير في الطموح والإتجاه ، فضـــلا ً عـــن كونه عاش في وجدان الأمة شوقاً وعشقاً ، مثلما لازَمَت الشـــجاعة والكـــرم ، فصـــار القرآن ديدنها وموضع علمها وموطن إبداعها ، فنما ذلك الشوق والعشق بي وحرصت على فيضانه منذ الوهلة الأولى في الدراسة الأولية حتى تحقق ما كنـــت اصـــبو إليـــه بدراسة موطن خلود اللغة العربية وبقائها منذ عرف العربي الشعر إلى يومنـــا هـــذا ، فازددت تعلقاً به بعد أن هيأ الله سبحانه وتعالى الفرصة لي في الجامعـــة الإســـلامية ، وكنت وقتئذٍ اتردد على استاذي الدكتور عناد غزوان رحمه الله ، فسألني بم تفكر الآن ؟ أتفكر بموضوع الدراسة ؟ قلت : نعم . قال : فلتكن ظاهرة الإعراب في اللغـــة العربيـــة موضوعك ، فرحبت بالفكرة وناقشتها مع أستاذي الدكتور رشيد العبيدي ورسمت الخطة بعدما عرض الدكتور عناد غزوان فكرتها وخطوطها ، فباركها أستاذي المشرف ، وهكذا تحددت البداية بقراءة كتب النحو واللغة القديمة والحديثة لتتكشف كل المعاني دون لبس أو خلل يعتري النصوص ؛ لأن ظاهرة الإعراب في العربية هـــي التـــي أكســـبت لغتنـــا الوضوح والبيان ومنحتها مرونتها على دلالة المعنى وتحديده ، فضلاً عن زوال اللبس، وهذا البحث يستهدف تلك القيم ويوضحها ، لذلك جاء البحث في ثلاثة فصول : تنـــاول

الأول تأريخ اللغة وفصيلتها وبيان منزلتها بين اللغات فضلاً عما تتميز به من خصائص .

أما الفصل الثاني : فقد خصصته لتوضيح رأي النحاة القدامى في دلالة العلامات الإعرابية على المعاني التركيبية ، وبيان أن القول بهذه الدلالة كان أصلاً من أصول النحو في كل العصور ، وتوضيح بطلان ما ادعاه بعض المحدثين من اكتشافه لدلالة هذه العلامات ثم تبيان موقف المحدثين من هذه الظاهرة ، وأن الأغلبية تسير على نهج القدامى في هذا الموضوع .

أما الفصل الأخير فقد أفردته لمناقشة آراء المعارضين والمشككين في أهمية الإعراب وأصالته ، وتكفل البحث بالاجابة عمّا أبدوه وما اثاروه من شبهات .

وانتهى البحث إلى خاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها معتمداً الإيجاز نتيجةً لهذه الخاتمة ، وخُتِم البحث بثبت للمصادر والمراجع وملخص باللغة الإنكليزية .

وبعد تلك الرحلة الممتعة لا بد لي من تثبيت أفضل حكم بعد القرآن الكريم ألا وهو حكم منقذ البشرية من الضلالة إلى الهدى ، حكم من أرسله رب العزة رحمة للعالمين محمد ﷺ حين قال : (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئون به فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه) معذرةً أستاذي الكريم وشيخي الجليل الدكتور رشيد العبيدي عرفتك إنساناً هميماً كريماً صادقاً صدوقاً مربياً عالماً سمحاً أرجو أن تسمح لي بأن أخرق العرف الذي ساد في هذا الميدان بشكر المشرف أولاً على الرغم من أنك لم تكن مشرفاً حسب ، إنما أنت الأب والأخ الكبير والمربي الجليل ، أود أن اشكر الأستاذ المرحوم الدكتور عناد غزوان اسماعيل الذي اقترح الموضوع ورسم خطوطه ، فإلى الله العلي القدير أتوجه متضرعاً أن يطيّب ثراه ويجعل الجنة مثواه . وإن واجب العرفان يحتم علي أن أشكر مربي الأجيال شيخي الحريص الذي فتح قلبه قبل باب داره لكل الدارسين القريب منه والبعيد عنه ، فضلاً عن كونه لم يدّخر شيئاً إلا قدمه مثلما استهواه فجزاه الله عني وعن الدارسين أفضل

الجزاء ، وألبسه ثوب الستر والعافية والنعيم ، ولا انسى أبداً دعاء تلــك الجنـــة التـــي سهرت وعانت فأدعو الله ان تبقى راضية عني وعن ابنائي وأمهم ، كما لا انسى أبـــداً فضل من بُني هذا البحث على تحملها وصبرها الذي لا تحده حدود ، تلكم شريكة الحياة أم أبنائي ، كما لا أنسى أخي الذي مدني بأنفاسه المبتهلة إلى الله فكانت خيـــر نـــبض للعمل ، ومسك الشكر أعطر به كل من قدّم عوناً للباحث ورأياً ، كما لا أنســـى النخبـــة الخيرة التي انتخبتها جامعتنا لتقويم هذا البحث ألا وهي نخبة العلماء الأجلاء أعضــــاء لجنة المناقشة ، ومما لا شك فيه أنهم يقدمون ما ينتفع به البحث والباحث وطلبة العلم ، فإلى الله أتضرع أن يلبسهم ثوب الستر والأمن والسلامة والصحة والعافية ، كمـــا لا أنسى أبداً ذلك العالم الشهم الأستاذ الدكتور محمود جاسم الـــدرويش ، الـــذي قـــررت جامعتنا أن يكون رئيساً للجنة المناقشة غير أن يد الغدر والجبن امتدت إليــــه فاغتالتـــه وصار شهيد الكلمة الصادقة ... أيها الجمع الخير تضرعوا معـــي إلـــى الله أن يســـكنه فسيح جناته وإلى روحه الطاهرة نعطر أفواهنا بقراءة سورة الفاتحة .

وبعد؛

فما هذا الجهد إلا محاولة من مجتهد حاول أن يضيف شيئاً إلى تـــراث أمتنـــا الخالد ، فإن وفقت فيما قدمت فهو الغاية ، وإلا فحسبي نصيب المجتهـــد وثوابـــه ، ولا كمال إلا لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

وآخرُ دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ ربِ العاملينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين .

الباحث

PREFACE

IN THE NAME OF ALLAH
THE MERCIFUL,the cracious
Praise be to allah, who reveal the holy Koran in Arabic , blessing and peace be to his messenger , his relatives and companious.
I've found that I'm so eager to read the holy Koran and to listen to it as others do . this gives me ambition and tendency . as the society like courage and generosity , it relates to Koran as its law and creativity . therefore , this love developed with me and I tried to spread it from early under graduate study to accomplish to study Arabic from the era that Arab knows poetry till now days . I had my chance in the Islamic university when I was meeting my master dr.inad qazwan .he asked me about the subject matter and guide me to select the Analysis Phenomenon in Arabic .i decided to select this idea and discussed it with dr. rasheed al-ubaidy . I had the outline when dr.inad gazwan presented the plan . it was blessed by my supervisor , then I start reading grammar and old and modern linguistics to discover the imbighty because the Analysis _______________Phenomenon gives Arabic clearance and reflexiblity of semantics . this thesis aims to these values and to make them clear , so thus it is divided into three chapters .
The first is about the history of language , its category , its range among the languages as well as its characteristics .

The second chapter classifies the old grammarians opinion of the Analysis Marks on the structural meanings . it also shows that this saying is one source of grammar . it also slates the modern linguists concerning this .

The last chapter is specialized to discuss the opinions of those who reject the importance of Analysis and its origins.

Then we have the conclusion and what I point out . there Is also the biography and references and the abstract in English .

After this enjoyable survey , it is important to point to the rescuer of mankind and his saying , also makes you a favor, reward him . if you don't be able , then ask Allah and pray to him) . ear master dr. rasheed al-ubaidy forgive me , I know you generous , honest and educator person , forgive me to acknowledge my supervisor first . I'm so grateful to dr. inad ghazwan who suggested this idea , may Allah bless him . I am so grateful to my mother and I ask her to make her so pleased with me . my gratitude to my wife who suffers more to help me .

The Researcher

الفَصلُ الأوَّلُ

اللغة العربية وخصائصها

* فصيلتها اللغوية .
* قدم العربية وأصالتها .
* أقسام العربية الشمالية ومراحل تطورها .
* العربية البائدة أو عربية النقوش .
* العربية الباقية .
* خصائص العربية .
* خصائص الأصوات والحروف .
* خصائص المفردات .
* وفرة المفردات .
* خصائص الجمل والأساليب ..الإيجاز .. المجاز..تنوع الجمل والتراكيب .. طريقة نظم الشعر .. تكامل نظام الإعراب فيها ..
* ظاهرة الإعراب وأثرها في نشأة النحو .

الفصل الاول

اللغة العربية وخصائصها

نبذة مختصرة في تاريخ اللغة العربية القديم وبيان منزلتها بين اللغات

فصيلتها اللغوية:

قسم العلماء المحدثين اللغات على فصائل بطرائق متعددة على فصائل ، منهم من يقسمها بالنظر إلى تطورها وارتقائها ، فتقسم على عازلة والصاقية وتحليلية ، إذ يرى اصحاب هذه النظرية ان اللغات نشات عازلة ثم تطورت واصبحت الصافية ، ثم ارتقت اخيرا إلى تحليلية كالعربية والانكليزية ، غير ان هذا التقسيم لم يسلم من النقد إذ ان ظواهر العزل والالصاق والتحليل توجد مجتمعة في كل لغة انسانية فلا نكاد نعثر على لغة خالية من اسلوب منها [1] .

فاللغة العربية فيها ظواهر من الأساليب الثلاثة ، إذ تسير على طريقة العزل مع بعض التراكيب كالجمل التي ليس بين عناصرها رابط ملفوظ ، وتفهم العلاقة بينها من تركيبها أو من السياق في مثل : (ضرب عيسى موسى) .

وتسير على طريقة اللصق في حالات غير قليلة كجمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم والتثنية وتعدية الفعل بالهمزة ، وتسير على طريقة التصريف والاشتقاق .

البعض يقسمها على فصائل بالنظر إلى وجوه التشابه بينها ، فيجعل من كل مجموعة متشابهة في المفردات ، وقواعد البنية ، والتراكيب فصيلة من الفصائل ، تؤلف بينها – غالبا – روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية .

---

(١) ينظر:علم اللغة:١٧٩–١٨٠، دراسات في فقه اللغة:٤١،فقه اللغات السامية لبروكلمان : ١ـ ٣٣

وقد تابعت التقسيم الذي قسم اللغات على ثلاث مجموعات كبيرة : مجموعة اللغات السامية الحامية ، ومجموعة اللغات الهندية الأوربية ، ومجموعة اللغات الطورانية [١] ، ولغتنا العربية تُعدّ إحدى اللغات السامية (الجزرية) التي تضم أيضا اللغات : الاكدية (الآشورية والبابلية) ، والآرامية والكنعانية (الفينيقية والعبرية) والعربية والحبشية [٢] .

وكان العالم الالماني شلوتسر اول من أطلق هذا الاسم على هذه اللغات في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الامم سنة ١٧٨١ م [٣] .

وقد استخلص شلوتسر هذه التسمية من الجدول الخاص بأولاد نوح عليه السلام الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، التي وردت في العهد القديم ،إذ رأى ان هذه التسمية تنطبق على العرب والعبريين والاحباش ، لوجود صلات قرابة بين لغاتهم أولاً ، ولان جدول الشعوب يرجع العرب والعبريين والاراميين الى سام بن نوح [٤] .

وتسمية (اللغات السامية) هي تسمية اصطلاحية،اذ لا توجد أمة تسمى بالسامية [٥] ، وانا اميل الى اختيار المصطلح الذي اقترحه العلامة الاستاذ طه باقر، وهو ((اللغات الجزرية)) بدلاً من اللغات السامية . لأن الاستاذ طه باقر بنى هذا الاختيار على ان الجزيرة العربية كانت مهد اولئك الاقوام الذين شملتهم تسمية الساميين ، وهي حقيقة اجمع عليها الباحثون [٦] .

---

(١) ينظر : المدخل إلى تأريخ اللغات الجزرية د. سامي سعيد الأحمد : ١٢ ، فقه لغات العاربة المقارن مسائل وآراء خالد اسماعيل : ١،المدخل إلى دراسة تأريخ اللغات الجزرية : ١٢ ــ ١٧

(٢) ينظر : فقه اللغة : ٣ ، فقه اللغات السامية : ٣١ ــ ٣٣ ، المدخل إلى دراسة تأريخ اللغات الجزرية : ١٥

(٣) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون : ٢ ، فقه اللغات السامية :١١ ، الساميون ولغاتهم : ٦ ، الاداب السامية لمحمد عطية الابراشي : ٧-٨ .

(٤) فقه اللغات السامية : ١١ ، الساميون ولغاتهم : ٢٦ ، اللهجات العربية الحديثة في اليمن : ٧ ، الحضارات السامية القديمة لموسكافي : ٥٢

(٥) اللهجات العربية الحديثة في اليمن : ٧ ، مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن : ١٣-١٥ .

(٦) من تراثنا اللغوي القديم : ١٧ .

وايد المستشرقون – وجلهم من اليهود – هذا المصطلح محاولين بـذلك ان يضـفوا القدسية والعراقة على لغة التوراة وان يجعلوها اقدم لغات الجزيرة وأمّها ، وبذلك القوا على شعبنا العربي كل اوزار اليهود التي ضجت منها البشرية على امتداد الزمان والمكان .[١]

ومن الملاحظ ان تصنيف التوراة للأجناس البشرية لم يقم علـى رابطـة عرقيـة أو لغوية إذ عُدَّ الليديون والعيلاميون من الساميين وهم– في الحقيقة – ليسوا منهم، كما استُبعد الكنعانيون وهم من صميم الساميين.[٢]

وهناك تقسيم آخر للغات البشرية قام على أبناء نوح (عليه السلام) : سام ، وحام، ويافث ، ومما لا شك فيه ان التقسيم لم يكن سليما ، لانه ((بعيد عن العلم وعن الواقـع فلـيس مـن المعقول ان يتكلم أبناء رجل واحد ثلاث لغات ذات خصائص متباعدة))[٣] ، ولذلك اقترح زكي النقاشي تسمية اللغات السامية باللغات الأَعرابية وايده في ذلك عمر فروخ لان اصـل هـذه اللغات جميعها خرج من جزيرة العرب.[٤] غير ان هذا الرأي لم يسـتطع مقاومـة مصـطلح السامية لشيوعه وكثرة تداوله بين من أتيحت لهم فرصةُ الريـادة فـي الدراسـات اللغويـة الحديثة.

---

(١) ينظر : لغتنا والحياة : ١٩ ، فقه اللغات العاربة المقارن مسائل وآراء ب ـــ ح .

(٢) ينظر : اللغة العربية وآدابها : ١٢.

(٣) عبقرية اللغة العربية : ٢٨١ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه ، والعربية والبحث اللغوي المعاصر : ٦–١٧.

قدم العربية وأصالتها :

المعروف ان البحث في اوليات الاشياء امر شاق ومحفوف بالمخاطر ولاسيما اذا كانت الوثائق التي بين ايدينا لا تسعفنا كثيراً في الانتهاء الى صورة حقيقية .

والبحث في تاريخ العربية قبل الاسلام من الموضوعات الشاقة التي لم يتيسر الى العلماء حتى اليوم الكشف عنه ، لاننا حين نحاول الكشف أو التعرف على شيء من طفولة اللغة ، نجد انفسنا في ظلام دامس ، ليس لان اللغة العربية ليست من القدم كأخواتها السامية (الجزرية) .

بل ان معظم المستشرقين [١] يؤكدون ان العربية تتضمن من العناصر القديمة التي ترجع الى السامية الام ، اكثر مما تتضمنه أية لغة جزرية اخرى ، فالعربية تتصف بما يأتي :

أ . أنها تعتمد على الحروف الصامتة لاداء المعاني ، وتستخدم الحركات للتفرقة بين المعاني المتكافئة .

ب . تمتاز العربية بالحروف الحلقية .

ت . معظم اصولها ثلاثية .

ث .تمتاز بندرة الالفاظ المركبة ، وندرة الازمنة المختلفة التي يدل عليها الفعل[٢]

غير اننا نفتقد النصوص القديمة التي ترجع الى ما قبل الاسلام ، يقول ابن الكلبي : ((لم تحفظ العرب من اشعارها الا ما كان قبل الاسلام)) [٣] .

وقد أُثِرَ عن ابي عمرو بن العلاء انه قال : ((ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا اقله، ولو جاءكم وافراً لانتهى اليكم علم وشعر كثير)) [٤] .

إذ يعتمد العلماء في دراسة اللغات ومعرفة تاريخها على ما يتركه أصحاب هذه اللغات من آثار ومخطوطات ، وعليه فان العربية ليس لها من الآثار القديمة ما يوضح نشاتها ومراحل تطورها ، إذ ان ظروف الحياة البدوية لم تساعد العرب على تسجيل أحداثهم أو على الاحتفاظ بما سجلوه طويلا ، فالعرب كما يقول الرافعي :((قوم ملكوا الارض ولم

---

(١) ينظر مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن : ١٣–٣٦ ، تاريخ اللغات السامية ولفنسون : ١٥ ، التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر : ١١ ، الحضارات السامية القديمة لموسكاتي : ٤٥ ، مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن : ١٣–٣٧ .

(٢) فقه اللغة المقارن : ٧٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) كتاب الاصنام لابن الكلبي : ١٢ .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٢٦/١ .

تملكهم ، فلم يؤثر عنهم في جاهليتهم الأولى من انواع الدلالة الثابتة كالكتابة والآثار ونحوها ما يوضح اطوار لغتهم ، وعلى ذلك يتعين ان تكون لغتهم قد ملكت التاريخ ولم يملكها)) [١]

وقد نجد من آثار الاكادية ما يرجع إلى القرن (٢٠ ق٠م) ، ومن اثار الفينيقية إلى القرن (١٠ ق٠م) ، ومن آثار الآرامية إلى القرن التاسع عشر ق.م نجد ان ما وصل الينا من آثار العربية البائدة لا يتجاوز القرن الأول ق٠م وان اقدم ما وصل الينا من اثار العربية الباقية لايكاد يتجاوز القرن الخامس الميلادي[٢]٠ ولايعني ذلك ان العربية لم تكن شيئا مذكورا قبل الميلاد ، أو أنّها احدث من اخواتها الجزريات ، بل يؤكد علماء المقارنة بين اللغات ان لغتنا العربية تحتفظ بعناصر ترجع إلى الجزرية الأولى[٣] ففيها من الاصوات ما ليس في غيرها من اللغات الجزرية ، وفيها الإعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير يؤكد الباحثون أنّها كانت سائدة في الجزرية الأولى ، ثم انحدرت منها إلى فروعها [٤] ، وخلو بعض اللغات الجزرية من هذه الظواهر ، أو من بعضها انما كان نتيجة انحرافها عن اصلها. وقد استطاع العلماء ان يتأكدوا من قدم العربية وأصالتها من طريق مقارنتها بآثار غيرها من اللغات التي ترتبط معها بعلائق لغوية عرقية ، فمن المعلوم ان اللغة العربية قد نشأت في ارض الجزيرة العربية إذ رجح كثير من العلماء أنّها الموطن الأصلي للجنس السامي[٥]، وان الاكاديين والكنعانيين والآراميين والثموديين والأنباط ما هم إلا قبائل عربية هاجرت من وسط الجزيرة إلى أطرافها في حقب متباعدة ما بين(القرن ٣٦والقرن ٦ ق.م) [٦]. وقد تركت هذه الشعوب آثارا استطاع العلماء اكتشافها وتحليل نصوصها منذ أواخر القرن القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين ، في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية كالمعينية والسبئية في الجنوب ، والثمودية والاوجاريتية في الشمال ، والاكادية في الشمال الشرقي . والبحوث المقارنة التي اجراها هؤلاء العلماء في كتابات هذه اللغات وقواعدها

---

(١) تاريخ آداب العرب : ٨٧/١ .

(٢) ينظر : فقه اللغة : ٩٣.

(٣) ينظر : تاريخ اللغات السامية : ١٦٤ .

(٤) ينظر : في اللهجات العربية : ٣٣ .

(٥) ينظر : اللغات السامية : ٥-٦ ، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن : ٢ ـــ ٣٣

(٦) ينظر : المرجع السابق : ١١ . وفقه اللغة : ٨.

اظهرت بوضوح ان اللغة العربية – لا العبرية – هي اقدم هذه اللغات تاريخيا واكثرها احتفاظا بكل الخصائص اللغوية القديمة التي فقدت في معظم لغات الجزيرة الأخرى[١].

ومنهج المقارنة الذي يقوم به العلماء بين هذه اللغات وقواعدها يقوم على فكرت تغير اللغة لكونها ظاهرة اجتماعية ، وعلى أنّها – جميعا – انحدرت من اصل واحد مشترك هو : تلك اللغة التي وجدت في جزيرة العرب قبل موجات الهجرة ، أي ان الخصائص المشتركة ترجع إلى ما قبل (٣٦ ق.م) ، ومعنى هذا انه اذا اتفقت كلمتان أو صيغتان في العربية والاكادية فهذا يعني بالضرورة ان اللغتين قد ورثتا هذا الشيء عن السامية الام ، وهذا ممكن في ضوء المنهج المقارن ايضاح عُمْر كثير من الظواهر اللغوية وإرجاعها إلى الألف الرابعة ق.م[٢].

ومن تلك الظواهر اللغوية الموغلة في القدم التي اتفقت فيها اللغتان : الاكادية والعربية ظاهرة الإعراب بالحركات التي وجدت في البابلية القديمة في النصوص التي ترجع إلى عصر حمورابي ثم تطورت بعد ذلك إلى حركتين ، ثم إلى حركة واحدة[٣].

ومن الظواهر المشتركة بينهما كذلك ظاهرة التنوين وان كان في العربية (نون) وفي الاكادية (ميم) وهما يتبادلان ، ومنها اتحاد علامة جمع التصحيح (الواو والنون) فيهما ، مع التماثل أو التقارب بينهما في صيغ الأفعال وفي كثير من الكلمات[٤] التي ذكر مجموعة منها (ولفنسون) في آخر كتابه[٥]. ويبدو من خلال التشابه أن هاتين اللغتين وغيرهما من اللغات السامية.

أما من الناحية التاريخية فتتظافر الأدلة أيضا على أن العرب هم أصل الشعوب ((فلم يعد هناك ريب بعد الحفريات والكشوف الأثرية ان عصر إبراهيم الخليل – وهو الألف الرابعة قبل العصر الحاضر أو القرن التاسع عشر ق.م – هو عصر عربي لغته هي السامية العربية الام))[٦] و (ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم إن إبراهيم عليه السلام

---

(١) ينظر : لغات الجزيرة : ١٧٥ .

(٢) ينظر : المدخل إلى علم اللغة : ٢٢٢ .

(٣) ينظر : فقه اللغة المقارن : ١١٨ .

(٤) ينظر : تاريخ آداب العرب : ١/٧٦ .

(٥) ينظر : تاريخ اللغات السامية ولفنسون : ٢٨٣–٢٩٤

(٦) التعريب ومستقبل العربية :٩٨.

كان عربيا وانه كان يتكلم العربية ، ولكنها الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلى فرض غريب وتفسير نادر غير ترجمة الواقع بما يعنيه ، وليس معنى ذلك بالبداهة انه كان يتكلم العربية التي نعرفها اليوم وانما المقصود انه كان يتكلم لغة الأقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها واليها في تلك الحقبة وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف الشام والعراق وتخوم فلسطين وسيناء)[1] وهذا الرأي القائل أن العربيةَ هي اصل اللغات السامية قال به بعض القدماء إذ ذكر أن اللسان السرياني كان يشاكل اللسان العربي الا انه محرف لبعد العهد بينهما وطوله[2].

وفي المعنى نفسه يقول العقاد:((ولقد عرفت اللغة التي كانت سائدة في جميع اطراف الجزيرة العربية باسم السريانية غلطا عن اليونان في التسمية لانهم أطلقوا اسم (أسّورية) أو (آشورية) على الشام الشمالية ، فشاعت تسمية العربية باسم السوريانية لذلك))[3]. والسريانية هي احدى اللهجات الشرقية[4]. ويرى المؤرخون ان الاراميين من اصل واحد مع العرب البائدة ويؤكد ذلك ما ورد من ان الملك الاشوري – سرجون ٦٦٨-٦٢٥ ق.م أشار في كتاباته إلى ان حيزائيل الملك العربي جاء خاضعا إلى نينوى ، وحيزائيل اسم آرامي ، ووصف بانه ملك للعرب وهذا يدل على وحدة الاصل بين العرب والآراميين ، وهو ما صرح به الدكتور هوميل[5]. وكذلك يرى الشيخ احمد رضا العاملي ان الآراميين هم قبائل عربية تحضرت بعد هجرتها ، وكان العرب يعدون البدو الآراميين، وبحكم العادة والاستقراء فأن البداوة سابقة على الحضارة فبدو الآراميين- أي العرب – كانوا في البادية قبل ان يتحضر قسم منهم ، فكانت معهم لغتهم الأولى قبل ان تفسدها الحضارة وعوامل التطور[6] وهكذا كانت كانت العزلة وحياة الصحراء سببا في أصالة العربية ووقايتها من التحريف والتشويه فاحتفظت بخصائصها حتى جاء الإسلام فمنحها الخلود والبقاء والقداسة لاقترانها بالكتاب العزيز الذي تكفل الله جل جلالة بحفظه ، اما بقية اللهجات أو اللغات السامية فقد بادت واندثرت

---

(١) ابراهيم ابو الانبياء :٢٠٣.

(٢) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٠/١ .

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء : ٢٠٣ .

(٤) ينظر : فقه اللغة : ٥٦

(٥) ينظر : التعريب ومستقبل العربية :٩٧ .

(٦) ينظر : مولد اللغة :٤٣.

كالبابلية والآرامية والفينيقية واليمنية وما بقى منها حيا فقد تطور تطورا أبعده عن أصله كالحبشية والعبرية[1] ان اللغة العبرية التي يتباهى بها أصحابها ويحاولون إضفاء القداسة والأصالة عليها لم تكن من اصول اللهجات السامية ، بل هي لهجة سامية متأخرة مقتبسة من الآرامية[2] . ولم تعرف باسم العبرية إلا بعد السبي البابلي وانما كانت تعرف بلغة كنعان[3] ولم تكن لغة عامة لكل اليهود بل كانت خاصة ببني إسرائيل ، والتوراة الموجودة حاليا عند اليهود متأخرة جدا عن سيدنا موسى عليه السلام وبينهما نحو (٨٠٠ سنة) إذ كانت شريعة موسى مدونة بالهيروغلوفية لغة بلاط فرعون ، اما التوراة الحالية فليست سوى ترجمة عبرية مشوهة مقتبسة من الارامية[4] . وكثير من الكلمات التي يظن أنّها عبرية مثل (أورشليم) و (هوسى) ثبت أنّها ليست عبرية و أنّها اقدم من العبرية ومدوناتها بمئات السنين .

وهكذا يتضح من كل ماتقدم مدى ما تتمتع به العربية من أصالة وعراقة وعمق وتاريخ ، فانها- إن لم تكن أصلا للغات السامية واما لها - فلا اقل من ان تكون اقربها للأصل واجمعها لخصائصه والصقها رحما به ، وقد دفعت نتائج هذه الموازنات والتحقيقات التاريخية بعض الباحثين إلى القول بان العربية هي اقدم من اللغات الآرية ، وربما اقرضتها بعض الألفاظ[5]

فالاب انستاس ماري الكرملي يقول تحت عنوان : اتفاق اصل العربية مع اللغات اليافثية (مع انكار كثير من العلماء لهذه الفكرة شرقا وغربا فان الاشتراك اللغوي واضح في مئات من الالفاظ مما يدل على انه حقيقة لا تنكر ، ولا سيما اذا اخذنا بمبدا ان كل كلمة من هجاء واحد أو هجاءين في العربية لا بد ان يكون لها مقابل في اليافثيات)[6]. وحيث انه من المسلّم به ان لغتنا العربية الفصحى ومدوناتها احدث بكثير من المدونات اليونانية واللاتينية مما يبعد القول بتناظرهما أو أخذهما عن العربية ، لان (الصيغ والتراكيب في لساننا قد تختلف عما كانت عليه في الأزمان البعيدة الا ان مادتها الاصلية واحدة ، وهذا هو المعول عليه في معارضة اللغات بعضها ببعض للحكم على أسبقيتها)[7]. ويسير عبد الحق فاضل في لاتجاه نفسه مفضلا

---

(١) ينظر : مقدمة المعجم العبري العربي الحديث .

(٢) ينظر : التعريب ومستقبل العربية : ١٠١ .

(٣) ينظر : اللغة العربية وآدابها : ٢٥ .

(٤) ينظر : لتعريب ومستقبل العربية : ١٠٢-١٠٣

(٥) ينظر : نشوء اللغة واكتمالها : ١٢٠-١٢١.

(٦) المرجع السابق : ١٢٠-١٢١.

(٧) ينظر : نشوء اللغة واكتمالها : ٦٤.

مفضلا العربية على غيرها ومعتمدا تشابه العربية مع اليونانية واللاتينية في كلمات كثيرة معظمها يدل على معانٍ حضارية مثل القلم والسّمة والأساطير بمعنى التاريخ والتقنية والصلابة والقبض والأداء ...

ومع ذلك فلا بد من أن نلاحظ أنَّ هذه الدلالة وان ظهرت في كثير من الألفاظ الا انه لا يمكن ادعاء اطرادها في كل الكلمات لان ذلك امر يصعب تحقيقه . والراجح أن تكون اللغات الأوربية اقتبست تلك الكلمات عن العربية البابلية التي كانت عربية الزمان والمكان ، فكلمة (بابل) عربية ، أي باب الله. وقد كان لهؤلاء القوم حضارة عريقة ، فأليهم تنسب أول شريعة بشرية ، أي :شريعة (حمورابي) واليهم تنسب نظرية المثلث الزاوية التي تنسب إلى اقليدس مع أنّها وجدت قبله بنحو سبعة عشر قرنا ، فحضارة هؤلاء القوم اقدم من حضارات الإغريق واللاتينيين والفرس جميعا وتاثيرهم في غيرهم اقرب إلى العقل والفهم[١]. ونستدل على أصالة العربية وقدمها باحتوائها على أصوات حلقية تعد أصواتا فطرية لكل البشر مثل الحاء في التنحنح ، والغين في مناغاة الطفل ولغلغته[٢].

وسار في الاتجاه نفسه بعض علماء الهند الذين جمعوا بين معرفة السنسكريتية والعربية وبعض اللغات الاوربية وارجعوا الكثير من ألفاظ هذه اللغات إلى اصل عربي ولكنهم بالغوا في القول باتفاق كل الكلمات الغربية المكونة من مقطع واحد مع نظيره من العربية.((لكن هذا التشابه لا يكفي لتحقيق اقتباسها من العربية الا اذا كانت مادة الكلمة في جذورها غريبة عن لغاتها الأجنبية وكان استعمالها عندنا سابقا لاستعمالها عندهم بمعناها نفسه أو ما يقرب منه وهو أمر يصعب تحقيقه))[٣]. ويرى العقاد طريقة أخرى لاستنباط ادله على قدم العربية من موازنة أسماء الحيوانات الأليفة في العربية مع نظيرتها في اللغات الأوربية فان اللغة التي ترجع أسماء الحيوانات فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها تسبق اللغات التي تتلقى هذه الأسماء بغير معنى يؤدي لفظها الدال عليها في أحاديث المتخاطبين بها ، فأسماء الكلب والأسد والنمر والنسر والصقر والغراب والفرس والحمار ، كلمات ذات معنى مفهوم للمتكلمين بالعربية ، ويشتقون منها معاني مناسبة لتلك المسميات ولا نجد هذا في

---

(١) ينظر : مغامرات لغوية : ١٧٧.

(٢) ينظر : المرجع نفسه : ١٩٥-١٩٦.

(٣) أشتات مجتمعات :١٥-١٦.

الإنكليزية مثلا ، ثم يقول : وهذا المقياس وجيه إذ لم تعش امة بغير هذه الحيوانات ولا خلاف في دلالة ذلك على قدم العربية عند موازنتها باللغات الأوربية[١].

وبعد فهذه مقتطفات من أقوال العلماء وبحوثهم في أصالة العربية وقدمها ربما يخطر لبعضنا ان يقول : انه لا ضرورة لمثل هذه البحوث ولا داعي إليها وان العبرة بما عليه اللغة و أهلها في هذا العصر ...

وقد يكون بعض هذا الكلام صحيحا ، ولكن اذا تذكرنا حملات المستشرقين واتباعهم ان تجرد العربية من كل فضل ، وان تحرمها من كل مزية،وان ترجع كل مظاهر التقدم فيها إلى سبب خارجي وتقليد أجنبي واصل غير عربي ، اذا تذكرنا ذلك علمنا انه لا بد من هذه البحوث لإحقاق الحق ودرء الشبهات وتقوية إيمان أهل هذه اللغة بها حتى لا ينحرفوا عن دينهم ولا يفرطوا في قوميتهم[*] .

وقد استطاع البحث ان يقف على اهم الدلائل التي تشير الى قدم اللغة العربية وهي :

اولاً : شعر ما قبل الاسلام :

مما لا شك فيه ان ما عثر عليه من النقوش ، وما ذكره الكثير من المؤرخين (٢) عن تاريخ العرب قبل الاسلام يؤكد أن الأمة العربية ، امة عريقة موغلة في القدم لها نفوذ أو علائق وتجارة ، ولها نتاج شعري ضخم يتناسب مع تاريخ هذه الأمة العربية وعصورها الطويلة قبل الحقبة الجاهلية .

لكن ليس من السهل تحديد الزمن الذي اتخذت فيه لغتنا العربية شكلها النهائي الذي تصوره الفصحى الجاهلية اذ ليس من المعقول ان اللغة العربية بدأت بهذه النصوص الشعرية ، غير ان الوثائق التي بين ايدينا لا تسعفنا كثيراً في الانتهاء الى صورة حقيقية ، ويزداد البحث صعوبة في البحث عن اولية الفنون بعامة ، والشعر منها بخاصة ، ولهذا فإن القول

---

(١) ينظر : أشتات مجتمعات : ١٧–٢٠ .

* لمن يريد المزيد يعود إلى كتاب الحركة الاستشراقية مراميها وأغراضها . حيث جسد الباحث كل الأبعاد الموضوعية وغير الموضوعية في القرن الثالث عشر الميلادي.

(٢) ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام : ١٠ ، محاضرات في تاريخ العرب : ١٣ .

في نشأة الشعر واوليته يبقى قائماً على الافتراض ، والسبب لأننا نفتقر الى الدلائل العلمية أو الاثارية التي تعطينا الصورة الحقيقية لذلك الفن .

وقد حاول علماء العربية البحث في اولية الشعر العربي ولكنهم وقفـوا عنـد زمـن المهلهل ، مقررين انه اول من قصد القصائد ولم يتجاوزوه إلا قليلاً حين قرر ابـن سـلّام ان الرجل قبل المهلهل وامرئ القيس كان يقول البيت أو البيتين في حاجته[1] لكننا نستطيع القول بأن البدايات الاولى للشعر العربي تمتد في اعماق التاريخ مستندين في ذلك الى اساس علمي هو ((قاعدة التطور من البسيط الى المركب)) [2] فهذه النصوص من شعر ما قبل الاسلام تقدم نماذج عالية من العربية، ولا يمكن ان تكون هذه النماذج بأي حال من الاحوال من البـدايات في اللغة .

فالشعر الجاهلي يمثل مرحلة متطورة ومتنامية من حياة الشعر العربي فمن يتأمـل في خصائصه المتوارثة يجد أنّها تقدم نموذجاً فنياً عالياً ومثاليـاً لجميـع الانمـاط الشـعرية العربية المتطورة ، والانواع العروضية الاخرى المبتكرة .

ويؤكد الكثير من الباحثين [3] . على أنَّ الفن مثل الكائن الحي يولد وينمو ويتطور بعضه من بعض ، وان القصيدة العربية التي وصلت الينا منذ زمن المهلهل وامرئ القيس ، لم تصل الى هذه المرحلة من النضج والكمال الا بعد ان مرت بمراحل كثيرة من التطـور والصـقل حتـى استوت على هذه الصيغة .

فلذلك لابد ان تكون العربية قد قطعت قبل هذه النصوص مراحل من تاريخها لم تكن فيها على هذا المستوى العالي من حيث القدرة على اداء المعاني ، وتـوافر المـادة العلميـة للتعبير عن النواحي المادية وانصرافها الى المعنويات في الامور .

وقاعدة التطور من البسيط الى المركب المعقد المتطور يبرهن على ان الشعر الجـاهلي هـو الاثر الباقي الذي يدل اقطع دلالة على ان تاريخ هذه اللغة ، قديم جداً ضارب فـي مجاهـل لا

---

(١) ينظر : طبقات فحول الشعراء : ١/٢٦– ٢٧ .

(٢) دراسات نقدية في الشعر العربي : ١٠ .

(٣) ينظر : تاريخ الادب العربي قبل الاسلام : ١٠ ، دراسات في فقه اللغة العربية : ٩٣ ، فقه اللغة المقـارن : ٩٦ –٩٧ ، دراسات نقدية في الشعر العربي : ١٠ .

يكاد يتبينها الباحثون على وجه الدقة والتحديد [(١)] . ذلك ان الذي بلغنا من نتاج الشعراء يدل على استقامة الفن الشعري ، واستكمال عناصره ، ولا بد لهذا الشعر من ان يكون قد قطع اماداً طوالاً حتى بلغ شعر ما قبل الاسلام في عروضه واوزانه وقوافيه ما بلغه [(٢)] .

ثانياً / التراكيب :

التركيب هو الهيكل التنظيمي للكلام من بين الجمل وتركيبها ، وطرائق تكوينها ، وخصائصها الدلالية والجمالية ، والقرآن الكريم المعجزة الحقيقية للرسول العظيم عليه افضل الصلاة والسلام جاء بها للعرب خاصة وللناس عامة والعربية استوعبت القرآن الكريم ، واستوعبت الاعجاز القرآني الذي يظل مطروحاً على الاجيال تتواتر عليه جيلاً بعد جيل ، لانه رحب المدى، سخي المورد.

اذاً لابد من أن تكون اللغة التي استوعبت القرآن المعجز ، القرآن الذي ذكر العلماء اوجه الاعجاز فيه وقالوا أنّها تعود الى اسلوبه الباهر لما فيه من حسن النظم والتأليف والترصيف والفصاحة وعذوبة الاسلوب ومن العلماء من ذهب الى ان الاعجاز القرآني هو اعجاز كلي فكري بلاغي بياني [(٣)].

من كل هذا نريد ان نقول ان اللغة التي استوعبت القرآن الكريم كانت كاملة النضج على مستوى التراكيب والاساليب قبل نزول القرآن الكريم إذ حين نزل القرآن الكريم على نبي الرحمة والهدى ﷺ ، كان الجميع قادرين على فهمه وتذوق فصاحته ، واستشعار جوانب البلاغة فيه فقد كان المعجزة الاولى في نظمه وفي اساليبه وفي الشريعة التي تضمنها وفي طرائق السلوك ، ومذاهب الحياة التي هدى اليها من آمن بها وصدق رسالته ، وهذا دليل قاطع على ما كانت عليه العربية قبل اربعة عشر قرناً من النضج والارتقاء في اساليب التعبير بها . كيف لا ... ؟ وهي وعاء حضارة العرب قبل الاسلام وبعده وان الباحث في اللغات السامية وفي اللهجات العربية القديمة المكتوبة على الاحجار يجد بعض الظواهر والخصائص الكاملة النمو والنضج في اللغة العربية .

واذا اردنا ان نعلل ذلك نرى ان الظواهر اللغوية الموجودة في لغتنا في صورة تقترب من الكمال والنضج كانت موغلة في القدم في لغات الجماعات الاولى ، ولكن تلك الظواهر كانت

---

(١) ينظر : دراسات نقدية في الشعر العربي : ٣٣ – ٣٥ ، فقه اللغة المقارن : ٧٥ .

(٢) دراسات في اللغة العربية : ١٦ ، فقه اللغة المقارن : ٧٥ ، تاريخ الادب العربي قبل الاسلام : ٤٣ .

(٣) ينظر : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ١٦٧ ، دراسات في اللغة العربية : ١٦ .

في ذلك التاريخ القديم في اطوار نشأتها ونموها اللغوي ، بمعنى اخر ان بعض الاوجه ومظاهر تلك الخصائص اللغوية التي نراها في بعض اللغات الجزرية (السامية) كانت هي البذور الاولى التي نمت فيها تلك الظواهر اللغوية ونضجت في لغتنا العربية [١] .

ثالثاً : ابنية الجموع :

الجمع صيغة ((مبنية للدلالة على العدد الزائد على الاثنين)) [٢] ويتحقق من طريق ضم الاسم الى اكثر منه بشرط اتفاق الالفاظ والمعاني ، أو كون المعنى الموجب للتسمية بينهما واحد [٣] ولما كانت الاسماء في العربية لا يحصيها العد ، كانت جموعها ابية ان تعد ، لذلك كان من العسير احاطة العلماء بما ورد منها عن العربية ، ادركنا سبب وفرتها ، وان كثيراً منها اصابه الشذوذ أو الندرة، لانه لن يساير القواعد التي وضعت وتعود ظاهرة تعدد الجموع في العربية واختلاف معاني الجموع باختلاف اوزانها الى اسباب ، منها اختلاف لغات العرب ، حتى احتل هذا السبب المرتبة الاولى في تفسير الجموع في العربية . الا ان هذا ليس السبب الوحيد لاختلاف صيغ الجموع ، فمنها ما يعود الى الضرورة التي قد يلجأ اليها العربي في الشعر والسجع ، وقد يكون السبب في اختلاف المعنى [١] .

اذ قد يكون للكلمة الواحدة اكثر من معنى وذلك بان تكون اللفظة مشتركة فيفرق بينها في الجموع ، أو يكون معناها غير مشترك ، ولكن جموعها تختص بمعان مختلفة . والجموع من المواد اللغوية القديمة ، احتفظت بها اللغة العربية اذ اختصت العربية بجموع التكسير التي خلت منها اللغات السامية الاخرى[٢] .

يقول المستشرق برجستراسر : ((اما الجمع فشكله مما تنفرد به اللغة العربية ، ولا يشاركها فيه أو في كثير منه ، الا اللغة الحبشية ، واللغة العربية اكثر انفراداً من غيرها ..))[٣]

---

(١) دراسات في اللغة العربية د. يحيى ناجي :١٦ .

(٢) الصرف الوافي : ٢٠ .

(٣) شرح المفصل : ٢/٥ .

(١) ينظر : معاني الابنية : ١٣٠ .

(٢) فقه اللغة المقارن : ٩٦-٩٧ .

(٣) التطور النحوي : ١١١

اما المستشرق الايطالي موسكاتي فقد قال : ((واللغتان الساميتان الجنوبيتان ، أي العربية والحبشية تمتازان بخط خاص في الجمع السالم الذي يعبر فيه عن الجمع بنهاية تلحق الاسم ، مثلما هي العادة في اللغات الاوربية ، تصوغ هاتان اللغتان الجمع ايضاً بتغير الاسم تغييراً داخلياً ، ويكون عادة بتغيير الحركات، ففي العربية مثلاً تجمع كتابات على كتب بتغيير الحركات وحدها[٤].

رابعاً/ الابنية الغريبة :

من الظواهر التي تدل على قدم العربية ان فيها الفاظاً تشبه ان تكون بقايا تاريخية درست اصولها ، مثلما تدرس الاثار المادية ثم يتخلف بعد ذلك اساس مكيف أو جزء من البناء لم يستسلم لعوادي الزمن وغوائله ، ومن تلك الصيغ التي وجدت في النصوص اللغوية القديمة والتي لم يكتب لها الشيوع لثقلها ولطول بنائها إذ عدت من باب الوحشي المهجور ، ما أورده ابن دريد في الجزء الثالث من الجمهرة للاوزان الغريبة من ذلك[١] .

كالفعلل ــ الهمرجل : للخفيف السريع

والشمردل : للطويل

والدلهمس : للجريء الماضي على الليل

والشمخوم : للناقة القوية

الجلنفع : للصلب القوي الشديد .

العلنكد : الصلب الشديد .

ومن الاوزان الغريبة التي ذكرها ابن دريد

ومن الفيعلي كالخبزلي

والفيعلول مثل العيسجور الناقة النشيطة

والفيعول مثل العيثوم الناقة الغليظة

---

(٤) الحضارات السامية القديمة : ٤٥ .

(١) الجمهرة : ٣٨٠/٣ .

وساقتصر على هذه الابنية مما ذكره ابن دريد في الجمهرة إذ أجد ان هذه الابنية ذات دلالات مادية لا تنصرف الى الناحية المجازية ، وان المعاني التي ترد في هذه الابنية متعلقة بالاوصاف الحسية كالطول والقصر والضخامة والدقة والسرعة والخفة(٢) .

فهذه الالفاظ على العموم كانت قديمة ومستخدمة بالدلالة التي وضعت لها، وقد اجتزأنا منها بهذا القدر للدلالة على قدمها في اللغة و أنّها وضعت لهذه المعاني في هذه الصيغ تقليداً وحكاية لما كانت عليه الابنية في اللغة القديمة في مراحلها الاولى .

---

(٢) المصدر نفسه .

أقسامُ العربية :

دأب المؤرخون[1]على تقسيم العرب على ثلاث أقسام : عرب عاربة ، وعرب معتربة ، وعرب مستعربة.

فالعرب العاربة : أي الخلص يسمون العرب البائدة ايضا ، لان قبائلهم بادت واندثرت ، ولم يصل الينا من اخبارها إلا النزر اليسير كبعض الاشارات القرآنية الواردة لقصد العضة والاعتبار، ويعدون من هذه القبائل : قبيلة عاد بالاحقاف في جنوب شبه الجزيرة العربية وثمود بالحجر في شمالها ، وطسما وجديا باليمامة وفي وسطها ، والعمالقة وهم فروع متعددة في مناطق مختلفة وكذلك جرهم الأولى ووبار ومسكنهم في اليمن[2]. وفي عد هؤلاء الاقوام من العرب دليل على عمق جذور العرب في التاريخ كما تقدم إذ ان هذه الاقوام سابقة لابراهيم الخليل عليه السلام بزمن طويل ، وابراهيم نفسه عليه السلام كان في حدود القرن (٢٠ ق.م) .

اما العرب المتعربة فقد عرفوا بالقحطانيين نسبة إلى قحطان ، وبالعرب اليمينية نسبة إلى موطنهم ، وبالسبئية نسبة إلى اشهر دولهم ، وزعم العرب ان – يعرب بن قحطان – هو اصل لسانهم ومصدر بيانهم[3] وقد اختلف في تفسير نسبة العربية إلى – يعرب – فابن خلدون يقول ((انه اول من تكلم بالعربية ومعناه : من اهل هذا الجيل الذين هم من العرب المتعربة من اليمنية والا فقد كان للعرب جيل آخر العرب العاربة ، ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة لا يمكن ان يكون تكلمها من تلقاء نفسه ، وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين باخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم))[4] بيد ان الرافعي يقول :((ونسبة العربية إلى هؤلاء القوم لا يتضح معناها إلا إذا قلنا أنّها العربية القديمة وهي أصل المضرية

---

(١) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣١/١ ، وتاريخ الأدب العربي :٦ ، محاظرات في تأريخ العرب قبل الإسلام : ٣ .

(٢) ينظر : تاريخ آداب العرب : ٥٠/١ .

(٣) ينظر : تاريخ الأدب العربي : ٦.

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٤٧/١.

وغيرها))[١]والاستدلال على نسبة المنطق العربي ان يعرب انما هو استدلال لغوي تنبه اليه المجانسة اللفظية ، واذا صح انه المسمى في التوراة (يارح بن القطان) ضاعت تلك المشاكة ولن نجد دلالتها على الإعراب أو العربية لا بالنص ولا بالتاويل[٢].

اما العرب المستعربة فنسبهم يرجع إلى سيدنا إسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام الذي نزل بالحجاز في حدود القرن (١٩ ق. م.) ، وتزوج امراة من قبيلة جرهم العربية تدعى السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي[٣] ومع الاتفاق على نسبة العرب المستعربة إلى إسماعيل وحلوله بمكة وزواجه إمرأة من قبيلة عربية الا ان هناك حلقات مفقودة في تسلسل حقبة تستمر اكثر من اثني عشر قرنا وبالتحديد إلى زمن عدنان الذي يذكر ابن خلدون انه لقي بختنصر وحاربه بذات عرق[٤] ، وبختنصر زعيم بابلي مشهور بفتوحاته وانتصاراته وهو الذي احتل فلسطين ونفى عنها اليهود في حوالي ٥٨٧ ق.م أي القرن السادس ق.م[٥] فيكون بينه وبين الرسول الكريم ﷺ حوالي احد عشر قرنا ، وهو مستبعد إذ ثبت ان بين عدنان ورسولنا الكريم عشرين اباً وهذه المدة تستوعب من الاجيال اكثر من ذلك . وقد ابعد ابن سلام الجمحي في التقدير عندما قال : ((وانما كان معَدٌ بِإزاء موسى بن عمران صلى الله عليه أو قبله قليلا))[٦]. أي: في القرن الثالث عشر ق.م ويرى كثير من الرواة والعلماء ان إسماعيل عليه السلام هو اول من نطق بالفصحى وقد جاء ذلك في حديث ابن عباس عن الحاكم في المستدرك بلفظ ((أول من نطق بالعربية إسماعيل))[٧]وروى الزبير بن بكار في النسب في حديث علي باسناد حسن : ((كان اول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة اسماعيل))[٨]. ولكن فما معنى هذه الاولية المنسوبة إلى اسماعيل ؟ يقول ابن ابن حجر تعقيبا على قول البخاري ﷺ في صفة اسماعيل عليه السلام بانه شب وتعلم العربية من جرهم ، يقول : ((فيه تضعيف لقول من روى انه اول من تكلم بالعربية ، أو العربية المبينة ، ولكن هذا القيد-المبينة- يمكن الجمع به بين الخبرين ، فتكون اولويته

(١) تاريخ آداب العرب : ٧٩/١.

(٢) ينظر : المرجع السابق : ٩٠/١.

(٣) ينظر : الروض الأنف : ١٧/١.

(٤) ينظر : العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٢٩٩/١.

(٥) ينظر : دائرة معارف القرن العشرين : مادة (بخت)

(٦) طبقات فحول الشعراء : ١١/١.

(٧) ينظر : البيان والتبيين : ٣٣٨/١ و ٢٩٠/٣ والمزهر في علوم اللغة وأنواعها :٣٢/١-٣٣ .

(١) فتح الباري على البخاري : ٢١٢/٧ والمزهر في علوم اللغة وأنواعها :٣٢/١-٣٣.

بحسب الزيادة في البيات لا الاولوية المطلقة ويتحمل ان الاولوية في الحديث مقيدة باسماعيل بالنسبة إلى بقية اخوته فاسماعيل اول من نطق بالعربية من ولد ابراهيم))[١]عليهم السلام.

فمن المستبعد ان يكون اسماعيل قد نطق بالعربية الفصحى عربية القرآن الكريم ، لانّه يلزم عليه ان تكون تلك اللغة قد بقيت (٢٥) قرنا دون تغيير أو تبديل مع أنّها لغة شفوية غير مكتوبة وهو ما لا نظير له في تاريخ اللغات ، ويؤيده ماروي عن الرسول ﷺ من انه قال عندما سئل عن سبب فصاحته : (كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظنيها فحفظتها)[٢] ، ولكن من المعروف ان الرسول لم ياتِ بلغة جديدة أو بظواهر لغوية غير معهودة ، بل اعطاه الله تعالى القدرة على استثمار المميزات المتعارفة لهذه اللغة ، وأوتي جوامع الكلم منطق بالسحر الحلال ، والعذب الزلال.

وكما قسم العلماء الجنس العربي على طبقات فقد قسموا اللغة العربية على أقسام ايضا [٣] ، فقالوا : لغة الشمال ، لغة الجنوب ، ويقصدون بلغة الشمال اللغة المضرية ، وبلغة وبلغة الجنوب لغات اليمن القديمة والقحطانية.

أما لغات اليمن القديمة فقد عدّها العلماء المحدثون قسما مستقلا بنفسه متميز من عربية الشمال ، وهذا يتفق مع قول ابي عمرو بن العلاء : ((ما لسان حمير و أقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا))[٤].

وقد ثبت ذلك ايضا من خلال النقوش الاثرية المنسوبة إلى القبائل المعينية والسبئية والحميرية والتي أُفيد منها أن لليمن حضارة ولغة متميزتين، وان كان ذلك التميز لم يخرج تلك اللغة عن كونها عربية بدليل ما اشار اليه ابو عمرو بن العلاء[٥]، غير ان تلك اللغة دخلت في مرحلة من الضعف والتدهور خلال القرون الأولى للميلاد إذ انتابت اليمن سلسلة من الكوارث الطبيعية وغيرها كانهيار سد مارب والغزو الخارجي من الاحباش والفرس مما

---

(٢) فتح الباري :٢١٢/٧.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٥/١.

(٤) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٦٧٣/٨ ، وتاريخ الأدب العربي :١٧.

(١) طبقات فحول الشعراء : ١١/١.

(٢) ينظر : المصدر نفسه .

ترتبت عليه هجرة كثير من القبائل اليمنية إلى الشمال إذ اختلطوا بالقبائل العدنانية ، ودخلت اللغتان في صراع لغوي تغلبت فيه العربية العدنانية على العربية القحطانية.

غير ان تقسيم العربية على شمالية وجنوبية لم يسلم من النقد ، إذ انه لا يمكن ضبط هذين القسمين بضوابط مكانية أو زمانية ، فهما متعاصرتان وبينهما صور كثيرة من الاتصال من طريق الهجرة والتجارة والحروب[١]. وعليه فالاولى تركيز البحث في العربية الشمالية لأنّها سادت ولأنّها نزلت بها لغة القرآن الكريم، اللغة العربية الفصحى .

أقسام العربية الشمالية ومراحل تطورها

ليس بالإمكان إعطاء صورة واضحة عن تاريخ نشاة هذه اللغة أو بيان مراحل تطورها على نحو دقيق إذ لم تتوافر نقوش أو آثار مدونة بهذه اللغة تكشف عن تاريخها أو تبين مراحل تطورها.

فقد قسم العلماء هذه اللغة الشمالية على قسمين : العربية البائدة ، أو عربية النقوش، والعربية الباقية[٢] أي العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم فكتب لها البقاء والخلود.

العربية البائدة أو عربية النقوش

يقصد بها مجموعة اللهجات التي كانت مستخدمة في شمال شبه الجزيرة من مناطق قريبة من الحدود الارامية مثل واحات تيماء والحجر ومنطقة العلا شمال الحجاز[٣]، وتنقسم النقوش التي وجدت بهذه اللهجات على قسمين :

---

(٣) ينظر : تاريخ اللغات السامية : ١٦٣ ، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن : ١٨ ــ ٣٣

(١) ينظر : تاريخ اللغات السامية ولفنسون :١٦٤.

(٢) ينظر : فقه اللغة :٩٤.

أ. قسم منها بعيد عن العربية شديد التأثر بالآرامية ، ونصوصه قليلة ، وهو مدون بخط مشتق من الخط المسند ، وهو صعب القراءة لخلوه من الاشارة إلى حروف المدّ وهذه النقوش هي النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية[١].

ب. اما القسم الثاني من نقوش العربية البائدة فيتمثل في نقش النمارة بتاريخ نحو ٣٢٨م ونقش زبد بتاريخ نحو ٥١٢م ، ونقش حوران بتاريخ ٥٦٨م وهذا القسم اقرب إلى العربية الفصحى من نقوش القسم الاول واغزر منه مادة واقل منه تاثرا بالارامية ، وخطه مشتق من الخط النبطي واقرب إلى الخط العربي الحالي وخصوصا نقش حوران الذي يكاد يتمحض للعربية الفصحى لفظا وخطا[٢].

العربية الباقية :

ويقصد بها اللغة التي سادت الجزيرة العربية في الحقبة القريبة من ظهور الإسلام والتي نزل بها القرآن الكريم ، وصيغ بها الشعر العربي في الجاهلية والإسلام وسادت على السنة المتكلمين بها قرون كثيرة ، ثم صارت لغة للعلم والأدب إلى يومنا هذا وإلى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

ظهرت هذه اللغة إلى التاريخ متكامله البنيان ، في غاية الرقي والكمال ينطبق ذلك على اقدم النصوص التي حفظها لنا التاريخ التي لا تتجاوز قرن ونصف قبل ظهور الإسلام ، وعليه فليست لدينا آثار أو نقوش تبين مراحل تطور هذه اللغة وتوضح كيفية نشأتها .

اما النقوش التي تقدم ذكرها في العربية البائدة فلا تكفي لاعطاء صورة واضحة عن بداية العربية الفصحى لقلة نصوصها ، وتشابه موضوعاتها ، وتكرر جملها ومفرداتها واحتوائها على كلمات لا تعرفها العربية الباقية والأغرب من ذلك استعمالها لاداة التعريف الآرامية في النقوش الثمودية والصفوية[٣]، وان هذه النصوص قد نسبت لجماعات متحضرة ، وارتبطت بمعالم حضارية كالمباني والمعابد المقامة في مناطق بعيدة عن وسط شبه الجزيرة العربية .

---

(٣) ينظر : تاريخ اللغات السامية : ١٧٧-١٧٨ ، فقه اللغة : ٩٦-٩٩.

(٤) ينظر : تاريخ اللغات السامية ١٨٩-١٩٤، فقه اللغة : ٩٩-١٠٣ .

(١) ينظر : في اللهجات العربية : ٣٤-٣٦ ، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ١٨ ــ ٢١

أما البادية لذلك العهد فيغلب على الظن ان لغتها كانت اخلص منطقا واعــذب بيانــا وأدنى إلى طبقة العربية التي عرفها التاريخ[١]. ولعل أوضح الأسباب لانعدام النقــوش بهــذه اللغة يرجع إلى ان المتكلمين بها كانوا بدوا والنقوش ترتبط دائما بالأماكن التي يؤمــل لهــا البقاء كالمعابد والقصور والمقابر الخاصة بعظماء الرجال،والبدو ليس لديهم مثل هذه المعالم الحضارية ، وليست لديهم وسائل النقش الملائمة .

أما المناطق والقرى الحضرية مثل مكة والطائف فيغلب على الظن أنّهــا تعرضــت لحملة تصفية لكل معالم الجاهلية والوثنية بعد الفتح تبعا لما حدث فيها مــن كســر الاصــنام وطمس التماثيل [٢]، وكل الرموز التي تشير إلى احداث الجاهلية أو تُذَكّر الناس بهــا والتــي تتعارض مع تعاليم الاسلام وقيمه الرفيعة. ومع هذا الغموض الشديد الــذي يحــيط بتــاريخ الفصحى ، فان العلماء قد حاولوا تحديد نقاط مهمة ومعالم بارزة في تاريخ هذه اللغة وسيرها نحو التطور .

من ذلك هجرة إسماعيل عليه السلام إلى مكة واتخاذه العربية لسانا فان ذلك ادى إلى دخول العربية في طور جديد بما أضاف اليها من لسان قومه ، وبما ترتب على رسالته مــن نشر افكار جديدة استلزمت تطوير اللغة حتى تعبر عنها[٣].

اما المرحلة الثانية التي كان لها الاثر في حياة اللغة العربية فهي التي كانت عقب تكاثر بني إسماعيل وانتشارهم في مناطق متفرقة من الحجاز إذ اخذت اللغــة تتطــور علــى ألسنتهم دون تاثر بحضارة أجنبية ، وساعدهم على ذلك عدم تقييدها بالكتابة وما يتمتــع بــه العرب من سلامة الفطرة ورهافة الحس ، كما كان للقبائل اليمنية التي هاجرت إلى الشمال في حقب ملاحقة بسبب الكوارث الطبيعية التي حدثت في اليمن ومنها انهيارات سد مأرب الــذي تعرض للهدم والترميم عدة مرات فيما بين القرن الاول ق.م عند قيام الدولة الحميرية وأواخر القرن الرابع الميلادي عند استيلاء الأحباش على اليمن [٤] .

---

(٢) ينظر : تاريخ آداب العرب : ٨٤/١ .

(١) ينظر : الروض الانف : ١١٣/٤.

(٢) ينظر : تاريخ آداب العرب : ٨٩/١ .

(٣) ينظر : العرب وظهور الإسلام : ١٧ .

إذ كان لهذه القبائل اثر كبير في تطوير اللغة والنهوض بها إذ حملت معهـا لغتهـا وحضارتها إلى بادية الشمال وادى إلى الاندماج بين اللغتين والاحتكاك بينهما إلى ظهور اللغة العربية في أدب جديد اقرب إلى التوحيد.

وفي تلك الحقبة حين كان اليمنيون يفقدون استقلالهم وحضاراتهم شيئا فشيئا واخذت لغتهم تضعف تبعا لذلك لان اللغات تتبع الحضارات صعودا وهبوطا في تلك الحقبة كان عـرب الشمال ومن انضمَّ اليهم من عرب الجنوب يمرون في دور من النهوض والتحضر تمثل فـي قيام بعض الدويلات مثل مملكة كندة في نجد،وامارة المناذرة في الحيرة ، والغساسـنة فـي الشام ، كما تمثل في اقامة اسواق اقتصادية ، ومنتديات ادبية ، ورحلات تجارية بين وسـط الجزيرة واطرافها صيفا وشتاءا مع ما كان لهم من ايام وحـروب واحـلاف عسـكرية بـين القبائل(١).

كل هذه العوامل ادت إلى الاختلاط والاحتكاك بين القبائل العربية مما ادى بهم إلـى ايجاد لغة موحدة خالية من المظاهر اللغوية الخاصة بكل قبيلة وقد تكونت تلك اللغـة بيـنهم بالتدريج حتى اصبحت لغة عامة يصطنعها جميع العرب في المجالات الجادة من القول.

وهذه اللغة الموحدة التي يفهمها جميع العرب ويتكلمون بها هي التي يعتقـد معظـم القدماء أنّها لهجة قريش تغلبت على لهجات بقية القبائل لما حبا الله به قريشا مـن فصـاحة أَلسنة وصفاء لغة ولين طباع ، مما جعلهم ينتقون من اللهجات العربيـة أسـهلها و أجملهـا فيضمونه إلى لغتهم وبذلك جمعت لغتهم محاسن لهجات القبائل ، وخلت من المظاهر المتشعبة فيها ، فلا تجد في كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرفة قيس ، ولا كسكسة ربيعـة ، ولا تلتلـة بهراء ولا غيرها ، وبهذا قال احمد بن فارس ونقله عن السيوطي ، كمـا نقـل آراء أخـرى مماثلة عن ابي نصر الفارابي وعن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢) . وتابعهم فـي ذلـك كثير من المحدثين ، وتوسعوا في شرح اسباب غلبة لغة قريش على بقية القبائل إذ ارجعوها إلى اسباب دينية واقتصادية وسياسية ، وإلى طبيعة لغة قريش وما تتمتع به من ثـراء فـي

---

(١) ينظر : تاريخ آداب العرب : ١/٩١-٩٤ .

(٢) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ٥٢ ، والمزهر : ١/٢٠٩ – ٢١٠ .

المفردات ، ورقة في الاساليب ، وقرب من الكمال نجد هذا القول يتردد في كتب كل من الرافعي ، وطه حسين ، وعلي عبد الواحد وافي ، وحسن عون ، ومحمود نحلة [١] .

أما المستشرقون فذهب كثير منهم إلى ان الفصحى انما هي مزيج من لهجات عربية مختلفة و أنّها كانت لغة راقية تستخدم في الاغراض المهمة في الحياة دون الاغراض العادية ، إذ كان لكل قبيلة لهجة خاصة تستعملها في ذلك.

يقول ولفنسون : ((واللغة العربية الباقية هي مزيج من لهجات عربية مختلفة بعضها من شمال الجزيرة وهو الاغلب ، وبعضها من جنوب البلاد،اختلطت كلها حتى صارت لغة واحدة بدليل تعدد صيغ الفعل .. وتعدد صيغ الجمع .. حيث كان لكل قبيلة صيغة خاصة بها ثم اجتمعت في الفصحى))[٢]. ويقول بروكلمان :-

أن الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وان أغنتها جميعا.[٣] وكذلك قال نولدكه وجويدي ماونالينو وهرتمان وفولرز[٤]. ويميل إلى هذا الراي بعض المحدثين من علماء العرب امثال : جواد علي [٥] ، وتمام حسان[٦]، فهم يستبعدون ان تكون لهجة قريش هي التي تمثل الفصحى لغة القرآن الكريم ، لان القرآن نفسه ينص في كثير من اياته على انه بلسان عربي مبين ، ولم يقل انه بلسان قريش ، وهذا يتفق مع ما صرح به الامام الطبري في مقدمة تفسيره[٧]. ويذكر العلماء ان في القرآن كلمات كثيرة من اللهجات العربية الاخرى ذكر منها السيوطي في الاتقان (١٨٠) ، ثم ذكر عن ابي بكر الواسطي قوله :((انّ في القرآن كلمات من خمسين لغة من لغات العرب وغيرهم))[٨].

---

(٣) ينظر : تاريخ آداب العرب : ٩٣/١ ، وفي الادب الجاهلي : ١٠٥-١٠٧ ، العصر الجاهلي:١٣١ – ١٣٣ ، اللغة والنحو : ٤٢-٤٤ ، فقه اللغة : ١٠٥ ، لغة القرآن في جزء عم : ٨٣.

(١) تاريخ اللغات السامية : ١٦٦ .

(٢) ينظر : تاريخ الادب العربي : ٤٢/١ .

(٣) ينظر : اللغات السامية : ٧٨ ، والعصر الجاهلي : ١٣١ .

(٤) ينظر : المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام : ٢٧/٩

(٥) ينظر :اللغة العربية معناها ومبناها : ١٣ ــ ١٤

(٦) ينظر : جامع البيان في تاويل القرآن :٥/١-٦.

(٧) ينظر : الاتقان في علوم القرآن :١٣٣٠/١-١٣٥.

ويشكك جواد علي في النفوذ السياسي لقريش ، ويرى أن ذلك النفوذ لم يتجاوز مكة وما حولها وان قريشاً لم تكن ذات قوة عسكرية بل كانت مضطرة إلى التحالف مع غيرها واصطناع الاحابيش والصعاليك ، وانهم لم يصلوا إلى حكم مكة الا بعد استعانتهم بالروم(١) وكذلك في النفوذ الاقتصادي ، اما النفوذ الديني فغير مجمع عليه ايضا إذ كان لكثير منهم اصنامهم ومعابدهم الخاصة(٢) والادعاء بان قريشا كانت تنتقي احسن الالفاظ والاساليب وتضمها إلى لغتها حتى اصبحت لغتها افصح اللغات يثير عدة أسئلة هي : من كان يقوم بهذه المهمة ؟ هل الخاصة أم العامة ؟ اما قيام العامة به فبعيد ولا نظير له ، اما قيام الخاصة به فامر غريب في ذلك المجتمع لما يتطلبه من وسائل حضارية كالجمع والدراسة والموازنة واتخاذ القرارات ونشرها كما تفعل المجامع العلمية الآن. ولو وجدت هذه الجماعة لكان اعضاؤها جديرين بالذكر والتخليد والنص عليهم كما نص على من يتولى التحكيم في الشعر ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث (٣) ، وعندما ننظر إلى الشعر واعلامه نجد ان اشهر شعراء الجاهلية هم شعراء المعلقات ولم يكن واحد منهم من قريش بل ان الحكم الوحيد الذي نص عليه في مجال الشعر لم يكن منهم وهو النابغة الذبياني(٤).

وقد روي أن بعض الصحابة من قريش توقفوا في فهم بعض الكلمات الواردة في القرآن الكريم كما حدث من عمر وابن عباس ﷺ (٥) مما يدل على أنّها ليست من لغة قريش .

وقد كان ابن عباس ﷺ مشهورا بتفسير القرآن والاحتجاج له باشعار العرب ، ومعظم ما احتج به الشعراء غير قرشيين وقد ذكر ابن الانباري لذلك اكثر من خمسين مثالا (٦) والمعروف أن أهل الحجاز ومنهم قريش يميلون إلى تخفيف الهمزة ، وغيرهم من قبائل

---

(١) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٦٤٢/٨.

(٢) ينظر : لهجة القرآن : ٢٨٠.

(٣) ينظر : المرجع نفسه .

(٤) ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية :٤٨ .

(٥) ينظر : الإتقان في علوم القرآن :١٣٣/١ .

(٦) ينظر : إيضاح الوقف والابتداء : ٩٢/١-٩٧ . الإتقان في علوم القرآن :١٢٠/١.

العرب يحققها ، فالهمز اذن ليس قرشيا وهو الغالب مع ذلك على التسهيل في الشعر العربي ، وهو السائد ايضا في القراءات القرآنية حتى ان ابن كثير وهو قارئ مكة كان يهمز[١].

وقد عدّ العلماء تلك اللهجات المنقولة عن اهل الفصاحة حجة يجب القبول بها ويجوز الكتابة على منوالها لمن اراد التكلم بلغة العرب كما قال ابن جني[٢].

واخيرا فكون هذه اللغة قرشية الاصل لا يزيد من شانها ، وكونها غير ذلك لا يحط من قدرها ، لان هذه اللغة قد اكتسبت حرمتها ومكانتها من ارتباطها بالقرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين ، فالبحث بعد ذلك بالاصول ربما كان من الفضول ، وانما يجب الآن ان نركز على قيمة هذه اللغة في نفسها ، وادراك ما لها من مميزات وخصائص وظروف وملابسات تساعد على نموها وبقائها وصلاحيتها لمسايرة التقدم البشري على مر العصور وكر الدهور.

خصائصُ العربية :

---

(١) ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية :٤٩.

(٢) ينظر : الخصائص :١٠/٢ .

بعد هذا العرض في تاريخ العربية ، وتعرفنا على قدمها وعراقتهـــا ، وتابعنـــا مراحــل تطورها ، ووقفنا معها عند ذروة مجدها ، ومنتهى رفعتها التي بلغتها بفضل نـــزول القـــرآن الكريم بها ، مما جعلها لغة اساسية لكل المسلمين ، انتشرت بانتشار الاسلام فـــي الافـــاق ، واقترنت بالدين باعظم وثاق ، فكتب لها الاحترام والخلود والبقاء إلى اليوم الموعود .

نريد ان ننظر إلى سر خلود العربية وهل يعود ذلك إلى اقترانها بالدين الاسلامي فقط وهل تظافرت معه اسباب ومؤهلات اخرى ، أوصلتها إلى تلـــك المنزلـــة الرفيعـــة والمكانـــة المنيعة .

لا شك في ان للعامل الديني الاثر الكبير فـــي انتشـــار العربيـــة ، وهـــو التفســـير التاريخي لذلك الانتشار السريع . لكن هذا لا يعني ان العربية في ذاتها لم تكن صالحة للبقـــاء والاحسبها ان تبقى لغة دينية تؤدى بها الشعائر والعبادات ، وتترك للغـــات الاخـــرى مجـــال الحياة[١] . ولكنها باتت لغة علم وتاليف وادب ، فضلا عن كونها وسيلة للتفاهم بين الشعوب الاسلامية المتباعدة الديار ، واستطاعت مواكبة العرب والمسلمين في حضـــارتهم وتقـــدمهم اثناء عصورهم الذهبية ، فاستوعبت افكارهم وافكار الامم من قبلهم في شتى العلوم والفنـــون ، واستطاعت ان تصمد أمام نكبات الدهر ومحاولات الهدم التي تعرضت لها من التتـــار إلـــى العثمانيين إلى الاستعمار الحديث .

وربما كان للعزلة التي عاشتها اثر في تفوقها واحتفاظها بخصائصها التي لاتوجـــد في غيرها من اللغات السامية ووقايتها من التخريب والتغيير الذي حدث لتلك اللغـــات التـــي سكنت الجهات المعمورة وبذلك سادت العربية وانتشرت في حين اندثر غيرها مـــن اللغـــات (الجزرية) ، فمات قسم كبير منها وانحصر الباقي في طوائف قليلة كالعبرية والحبشية . ولكن السبب الأهم لذلك كله هو نزول القرآن بهذه اللغة فضلا عما تتمتع به من خصائص وعوامل ذاتية لم تتوافر لغيرها من اللغات . وسيتكفل البحث الالمام بتلك الخصائص التي جعلت لغتنـــا العربية لغة حية ملائمة لكل المستويات وكل العصور تلك الخصائص التي تتميـــز بهـــا فـــي أصواتها وحروفها أو في ألفاظها ومفرداتها أو في جملها وأساليبها .

---

(١) ينظر : لغتنا والحياة : ٣٩ .

خصائصُ الأصوات والحروف :

يبلغ عدد حروف الهجاء في العربية تسعة وعشرين حرفا عنـد سـيبويه وثمانيـة وعشرين حرفا عند المبرّد لاختلافهما في عد الهمزة حرفا مستقلا[١].

وهي مع ذلك ليست اوفر عددا من ابجديات اللغات الاخرى مطلقا ، فلغـة الارمـن يبلغ عدد حروفها ستة وثلاثين حرفا الا ان بعض الحروف التي فيها يتشابه بعضـها بـبعض على حد تشابه الضاد والظاء في لغة العرب[٢]، واللغة الروسية يبلغ عـدد حروفهـا خمسـة وثلاثين حرفا[٣]، ولكنه مع هذه الزيادة لا تبلغ مبلغ العربية في الوفاء بالمخـارج الصـوتية على تقسيماتها الموسيقية لان كثيرا من هذه الحروف الزائدة ليست الا حركات مختلفة لحرف واحد .

فميزة العربية إنما هي في سعة المدرج الصوتي في الشفتين إلى اقصى الحلق مـع تنوع المخارج وتعددها إذ تبلغ ستة عشر مخرجا[٤] من الجوف والحلق إلـى اللسـان ومـا يجاوره إلى الشفتين والخيشوم وبذلك تكون العربية اوفر عددا في اصوات المخارج التـي لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها ، فليس هناك مخرج واحد ناقص في العربية ، وانمـا تعتمد هذه اللغة تقسيم الحروف بحسب موقعها من أعضاء النطق ، ولا تحتاج الى تقسـيمها باختلاف الضغط على المخرج الواحد كما يحدث في اللغات الأخرى [٥] ، ولذلك امتازت العربية باحتوائها الحروف بدرجات متفاوتة في اللغات السامية الاخرى . والمقصـود بوجـود هـذه الحروف في العربية أو غيرها كونها تؤلف وحدة صوتية متميزة فلا ينافي أنّهـا قـد توجـد عرضا في اللغات الاخرى سامية أو غيرها[٦]، واكثر الحروف اختصاصـا بالعربيـة الضـاد والظاء إذ تعرضتا للتغيير في اللغات السامية الاخرى وفي الاكادية والعبرية تسـتبدل الضـاد والظاء والصاد بصاد اخرى تختلف عن العربية قليلا ، وصوت الضاد في هاتين اللغتين حـل

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤٣١/٤ ، المقتضب : ١٩٢/١ .

(٢) ينظر : سر الفصاحة : ٤٧ .

(٣) ينظر : اللغة الشاعرة : ٩-١٠

(٤) ينظر : الكتاب: ٤٣٣/٤،وهناك اختلاف في عدد المخارج ينظر مباحث في علم اللغة واللسانيات:٧٠-٧١

(٥) اللغة الشاعرة : ١١ .

(١) ينظر : علم اللغة : ١٤٠-١٤١ ومباحث في علم اللغة واللسانيات : ٥١-٦٨ .

محل ثلاثة اصوات عربية اما في الارامية فقد تحولت الضاد إلى عين أو قاف وذلك تحول غريب يصعب تفسيره[١] وبذلك يبقى اطلاق لغة الضاد على العربية صحيحا إلى حد بعيد ، ووجود هذا الصوت في العربية الجنوبية والحبشية لا يقدح في ذلك . لان الحبشية امتداد حديث للعربية والجنوبية ، والعربية الشمالية والجنوبية لغة واحدة في نظر كثير من العلماء ، ولذلك يقول رينان في كتاب اللغات السامية انه ليس للهجة حمير ولسان الحبشة مكان اساس في اللغات السامية ، وانما هما بمثابة اداتين هيأتا المجال لظهور العربية المحضة الحجازية [٢].

والحديث عن لغة الضاد انما هو بالنظر إلى الواقع اللغوي وكون العربية وشعبتها الجنوبية الغربية مختصة بهذا الحرف حصراً دون غيرها من بقية اللغات السامية وغير السامية وذلك بغض النظر عما قيل من أن مصطلح لغة الضاد انما ظهر في القرن الرابع الهجري صورة من صور الصراع بين القومية العربية وغيرها من القوميات[٣]. وبغض النظر عما صرح به العلماء من ان حديث (انا افصح من نطق بالضاد) لا اصل له ولا يصح كما قال ابن الجزري[٤]،أو لم يثبت ، أو لا اصل له وان كان معناه صحيحا كما صرح به الشهاب الخفاجي وملّا علي القارئ [٥]. كل ذلك لا يمنع من ان تكون العربية بقسميها وربيبتهما الحبشية فقد اختصت بحرف الضاد وقد أدرك القدماء امتياز العربية بتمام حروفها ، وسعة مدرجها الصوتي وتنوع مخارجها ، فالرازي يقول : ((لغة العرب هي اللغة التامة الحروف الكاملة الالفاظ ، لم ينقصها شيء من الحروف فيشينها النقصان ولم يزد فيها شيء فتحيها الزيادة ، وسائر اللغات فيها حروف مولودة ، وينقص عنها حروف هي اصلية ونجد ذلك باللغة الفارسية التي طبعنا عليها ونشأنا فيها))[٦]. ويقول ابن سنان الخفاجي : و ((مما اختصت به العربية من الحروف وليس هو في غيرها حرفا الضاد والظاء وقد ذهب قوم إلى الحاء من جملة ما تفردت به لغة العرب ، وليس الامر كذلك لاني وجدتها في اللغة السريانية

---

(٢) ينظر : علم اللغة : ١٤١–١٤٢ . ولمزيد من التفصيل ينظر : مباحث في اللغة واللسانيات ٥٤–٦٨ .

(٣) ينظر : مولد اللغة : ٥٣ .

(٤) ينظر : اللغة بين القومية والعالمية : ١٩٨–٢٠١ .

(٥) ينظر : النشر في القراءات العشر : ١/٢٢٠ .

(١) ينظر : نسيم الرياض بشرح شفاء القاضي عياض : ١/٢٧ وبهامشه شرح الملّا علي القارئ .

(٢) الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية : ١/٤٦ .

كثيرا وحكي في الحبشة والعبرانية))[١] . وبناء على هذا التمام في الحروف ووضوح مخارجها وملاءمتها للاصوات اللغوية استغنت العربية عن تمثيل الحرف الواحد بحرفين مشتبكين أو متلاصقين كما يكتبون الثاء والذال والشين وغيرها في بعض اللغات كالانكليزية مثلا تعبر بحرفي TH عن الثاء تارة وعن الذال اخرى ، وتعبر عن الشين بحرفي SH . ((وان أي لغة لم تتحرر فيها المخارج بحروفها كما تحررت لغة الضاد ، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ، ولا مخرج ملتبس بين حرفين))[٢].

ومن خصائص لغتنا ثبات اصوات الحروف فيها على مر العصور توفيرا للجهد ودلالة على الاتصال بين انسال الأمة العربية[٣]، فاصوات العربية الفصحى كما ننطقها الان هي كما كانت منذ خمسة عشر قرنا أو تزيد مما جعلنا قادرين على فهم النصوص النثرية والشعرية التي قيلت في الجاهلية وصدر الاسلام وما بعد ذلك بكل يسر وسهولة ، ((ومع ان علماء اللغة المحدثين يلاحظون بوجه عام ان النظام الصوتي لا يستطيع ان يكون ثابتا خلال مراحل التطور للغات فان معجزة العربية تتجلّى في ثبات اصواتها التي تفضي إلى مدلولاتها))[٤].

اما اللغات الاخرى فان اصواتها تتبدل وتتغير من حين إلى اخر ، وذلك فان صلتهم بتراثهم قريبة العهد كما في اللغات الاوربية المتفرعة عن اللاتينية فان عمرها بالنسبة لغيرها من اللغات قصير ، وتراثها اقصر عمرا بحيث لا يستطيع الأوربي الآن فهم ما كتب قبل خمسة قرون أو ستة على الاكثر وذلك بسبب تغير أصواتها وتطور مفرداتها نطقا ودلالة .

ولعل أوضح الأمثلة على ذلك أن نلاحظ الفرق بين طبعتين من طبعات المعجم الانكليزي العالمي معجم وبستر ففي حين يبلغ عدد كلمات المعجم في طبعته ما يقارب الثانية سنة (١٩٣٤م) ما يقارب (٦٠٠) ألف كلمة ، ينقص عدد كلمات المعجم نفسه في طبعته الثالثة سنة (١٩٦١م) إلى نحو (٤٥٠) ألف كلمة فضلا عن كون المؤلف أضاف في الطبعة الثالثة (١٠٠) ألف كلمة واسقط (٢٥٠) الف كلمة وهذا يعني ان نصف كلمات اللغة

---

(٣) سر الفصاحة : ٢٦ .

(٤) اشتات مجتمعات : ٧٤ .

(٥) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٥١

(١) دراسات في فقه اللغة : ٢٨٥ .

الإنكليزية بين عامي ١٩٣٤-١٩٦١م قد تعرض للتبديل [١] ، ولــذلك قــال علمــاء اللغــة الغربيون : ((ان تبدل أصوات الحروف حتمي في جميع اللغات))[٢] وهذا التعميم تنقضه لغتنــا العربية ولا ينطبق عليها لسببين : أولهما ميل العرب بفطرتهم إلى المحافظــة علــى مــا لا موجب لتغييره في حياتهم ، والآخر نزول القران بهذه اللغة ووجوب تلاوته مثلما انــزل دون تغيير أو تبديل في الحروف أو في الحركات [٣] وتجدر بنا ملاحظة ان المراد بثبــات أصــوات الحروف في العربية انه لم يحدث بها تطور يغير المعنــى أو يقطــع الصــلة بــين الماضــي والحاضر كما تقدم فلا ينافي ذلك انه ربما حدث تطور خفيف في نطق بعض الحروق كالقــاف مثلا فهو تطور-ان وجد - عديم التأثير .

ومن خصائص حروف العربية وأصواتها أيضا وضوح المناسبة بين صفات بعــض الحروف من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة ، واستعلاء واستفال وبين المعاني التي تدل عليها الكلمات ، إذ نجد للحروف قيمة تعبيرية تتناسب مع صفاتها ومواقعها من الكلمات ، ويتضــح ذلك في كثير من الألفاظ التي درسها القدماء ونبهوا عليها وفي مقدمتهم ابن جنــي إذ ذكــر كثيرا من هذه الامثلة [٤] إذ قال ابن جني ((فأمّا مقابلة الألفاظ بمــا يشــاكل أصــواتها مــن الأحداث فَبَابٌ عظيمٌ واسعٌ ، ونهجٌ مُتلئبٌ عند عارفيه مأموم . وذلك أنهم كثيراً مــا يجعلــون أصوات الحروف على سَمتِ الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها ... من ذلك قولهم : خَضِم وقَضِم ، فالخَضمُ لأكل الرطب ، كالبطيخ والقثاءِ ، وما كان نحوهما من المأكول الرطب .

والقَضمُ للصُلب اليابس ، نحو : قَضِمَت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك . وفي الخبر : (قد يُدرك الخَضم بالقَضم) أي : قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشظف ، وعليه قــول أبــي الدرداء (يخصمون ونقضم والموعد الله) ، فاختاروا الخــاء لرخاوتهــا للطــب ، والقــاف لصلابتها لليابس)) [٥] .

---

(٢) ينظر : المعجم الانكليزي بين الماضي والحاضر : ٢٥٣ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٥٣ .

(٤) ينظر : المرجع نفسه .

(١) ينظر : الخصائص : ١٥٢/٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٧/٢ ــ ١٥٨ .

وقد سرى على كثير من الألسنة والاقلام وصف العربية بأنّها لغة الضاد نظرا لاختصاصها به من بين سائر اللغات-كما تقدم - فما الايحاء الذي يشير اليه هذا الحرف ، يرى بعض الادباء ان الضاد يقترن كثيرا بالشؤم والمكروه مثل ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ، ضوضاء،ضياع ، ضلال ، ضنت ، ضيق ، ضنى ، ضراوة .... الخ

وبعكسه الحاء التي تكاد تحتكر اشرف المعاني واقواها : مثل حب ، حق ، حرية ، حياة ، حسن ، حركة ، حكمة ، حلم ، حزم[١] . ويرى انه لهذه المزية ، ولعسر النطق بها على حناجر الاعاجم دون سائر الحروف كان الأولى ان تنسب لغتنا إلى الحاء فنقول : ((لغة الحاء بدلا من لغة الضاد))[٢]، ولكن الحاء-كما تقدم-ليست خاصة بلغتنا بل توجد في كثير من اللغات السامية وعلى ذلك يكون ايحاؤها مشتركا ، وحينئذ تندثر الميزة التي أردنا إثباتها .

ومن خصائص العربية أنّ لها من تراكيب الكلمات من الحروف ذوقاً رفيعاً، وموسيقى عذبة تعتمد التناسب والخفّة والاعتدال ، وتبتعد عن الغرابة والتنافر ، ولهذا كانت الاصول الثلاثية اكثر استعمالاً فيها لكونها مكونة من حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه ، وذلك يتناسب مع طبيعة النطق إذ تفصل العين بين ماحقّه الحركة وهو فاء الكلمة وماحقّه السكون وهو الحرف الاخير فلا يحدث انتقال مفاجئ من حركة إلى سكون[٣]، ومما يدل على ميل العرب إلى الخفة انهم يستثقلون تكوين الكلمة من حروف متقاربة في المخرج غالبا فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه : ((سص ، وطس ، وظث ، ... وقج وجق))[٤]وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف ابعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف ، فان جمع بين اثنين منها قدم الاقوى على الاضعف مثل : أهل وأحد[٥]. وهكذا فأحسن الابنية ما كان مكونا من حروف متباعدة في المخرج ، ولذلك استنبط العلماء علامات تكتشف بها الكلمات الدخيلة على العربية من خلال تركيب حروفها ((فلا تجتمع الصاد

---

(١) ينظر : اشتات مجتمعات : ٤٣ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) ينظر : الخصائص : ١/٥٤-٥٦ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

والجيم ، ولا الجيم والقاف ، ولا الطاء والجيم في كلمة عربية ... ولا تقع زاي بعد الـدال ، ولا شين بعد لام ، ولا نون قبل راء في كلمة عربية))[١].

تلك هي أبرز خصائص الاصوات والحروف في اللغة العربية ، فسعة المدرج الصوتي وحسن توزيع الحروف على هذا المدرج وثبات أصوات هذه الحروف على مرّ العصور ، وايحاء للحروف وايماء نحو معانيها نشأ عن طول الفه بين هذه اللغة والمتكلمين بها ، ثم مرعاة للخفة وسهولة النطق في تركيب الكلمات من الحروف .

خصائصُ المفردات :

الاشتقاق : المقصود به ((أخذ كلمة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة اصلية وهيأة تركيب لها ليدلّ بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة))[٢] وهذا هو الاشتقاق العام أو الاشتقاق الاصغر ، وهو المقصود عند الاطلاق لانه اهم انواع الاشتقاق بخلاف الانواع الاخرى من الكبير والاكبر والكبار فاهميتها اقل بكثير ، والاشتقاق بمعناه العام وسيلة من اهم وسائل تنمية اللغة وتمكينها من الايفاء بمتطلبات الحياة إذ يمكن في كثير من المواد مثل (ع . ل . م) و (ق . ط . ع) اشتقاق عشر صيغ ثلاثية للفعل وسبع للاسم فضلا عن كون احدهم جعلها مائة وعشرين ، أومائة وخمسين كلمة[٣] .

فالعرب لم تقتصر على الاشتقاق من المصادر ، بل اشتقت من اسماء المعاني ومن الذوات الحسية ومن اسماء الازمنة والامكنة ومن اسماء الاصوات ومن الحروف في امثلة كثيرة[٤]، ولذلك صارت الرابطة الاشتقاقية واضحة بين الكلمات المشتقة في هذا العصر واصولها مع طول الزمن بين ظهورها كما تبدو كذلك واضحة بين مصطلحات العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ومعانيها اللغوية .

إنَّ ميزة الاشتقاق في العربية قد اكسبتها ثروة في الالفاظ تتنامى على مر العصور ، ومرونة تستجيب بها لمقتضيات الحياة وما يجد فيها من معان وافكار وادوات ومخترعات

(١) المزهر في علوم اللغة وانواعها : ١/٢٧٠ .

(٢) الخصائص : ١/٣٦٤ .

(٣) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٦٥ .

(٤) ينظر : في اصول النحو : ١٤٣ .

حتى وصلت المشتقات المحضة إلى سبعين الفا من الكلمات[١].و((إنّ الوزن هو قوام التفرقة بين اقسام الكلام في العربية ، وإنّ اللغات السامية التي تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقات بالموازين التي تسري على جميع اجزائها ، وتوفق احسن توفيق بين مبانيها ومعانيها))[٢] ، وهكذا يمكن تصنيف الكلمات العربية بحسب موادها واصولها كما فعل اصحاب معجمات الألفاظ العربية كما يمكن تصنيفها بحسب صيغها وموازينها[٣]، فكيفما جمعت الفاظ العربية اتضحت رابطتها الاشتقاقية أو وظيفتها الصرفية على نحو مطرد وقواعد راسخة ، وأوزان وصيغ تكشف عنها معانيها ممّا يُعدّ مزية للعربية لا تتوافر لغيرها من اللغات ، فاللغات الاوربية لو وازنت بينها وبين العربية لوجدنا الفردية غالبة على الانكليزية التي تُعدّ اللغة الأولى في العالم ، فقد تتقارب معانيها وتختلف في الفاظها مثل : كتاب ومكتبة ومكتب وكاتب يقابلها في الانكليزية bureau ، library ، book، writer على الترتيب وهي متباعدة في اللفظ متقاربة في المعنى ، ومثلها الكلمات الدالة على العلاقات الاجتماعية كالاخ والاخت sister، brother والابن والبنت daughter، son والزوج والزوجة wife ، husband فكل هذه الالفاظ متقاربة في المعنى مختلفة في النطق والصيغة ، وقد تتفق الالفاظ عندهم في النطق وتختلف في المعنى مع الاختلاف في الرسم مثل : peace بمعنى سلام و piece بمعنى قطعة و heel بمعنى كعب و heal بمعنى يبرئ و one بمعنى واحد و won بمعنى فاز أو كسب و week بمعنى اسبوع و weak بمعنى ضعيف ، وهكذا فان الكلمات في هذه اللغات تجري على وزن واحد بغير دلالة على اتقان المعنى ، ولا في تقسيم الافعال والاسماء والحروف ."ان كلمات مثل : in اداة تنكير ، و pan عموم ، و tan يدبغ و thane سيد و ran جرى و fan مروحة و man رجل ، يوجد في الانجليزية اتفاقا ومنها اسماء وافعال وحروف ولا علاقة بين معانيها أو وظيفتها الصرفية"[٤] ومع ان العربية اعتمدت الموازين والقوالب المتماثلة لكثير من المعاني فان ذلك لم يؤثر في وفرة مفرداتها فهي غنية بهذه الموازين على نحو لا

---

(١) ينظر : الاشتقاق والتعريب : ٩ .

(٢) اللغة الشاعرة : ١٢ .

(٣) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٧١ .

(١) اللغة الشاعرة : ١٣ .

يتوافر في غيرها من اللغات وقد حاول بعض العلماء احصاء هذه الموازين ((وما منهم مـــن استوعبها واول من حاول احصاء اوزان الاسماء سيبويه إذ ذكر منها ثلاث مئة وثمانين مثالاً ، وزاد عليه ابن السراج اثنتين وعشرين مثالا وزاد ابو عمر الجرمي وابن خالويـــه امثلـــة يسيرة ، وما منهم الا ترك اصناف ما ذكر ، وبلغ بها ابن القطـــاع عشـــرة ومئتـــين والـــف مثال))[1]. فمزية الاشتقاق عادت على العربية بفوائد كبيرة إذ وثقت الصـــلة بـــين مفرداتهـــا قديمها وحديثها ، ومكنت الدراسين من ادراجها في مجموعات متشابهة تمكـــنهم مـــن ادراك مفرداتها بعد الاطلاع على بعض مشتقاتها ، فضلا عن اكتشاف الدخيل من الكلمات .

وفرة المفردات :

تتميز العربية بوفرة مفرداتها وكثرتها "فهي تشتمل على جميع الاصول التي اشتملت عليها اخواتها الجزرية أو على معظمها وتزيد عليها باصول كثيرة احتفضت بها من الاصـــل السامي الاول ولا يوجد لها نظير في اية اخت من اخواتها"[2]. ويدل على ذلك احصاء قام بـــه الاب مرجي الدومنكي لمعجمات سامية فكان على وجه التقريـــب : " يبلـــغ مجمـــوع اصـــول العربية (٧٢٢٠) ومزيداتها (١٢٠٣٢) في حين ان اصول اللغـــات الســـريانية والعبريـــة والحبشية والاكادية مجتمعة تبلغ (٤٩٥١) ومزيداتها (٨٦١٠) ولذ يســـوغ القـــول : ان العربية اغنى اللغات الجزرية ، ولعلها اوفر ثروة من لغات العالم قاطبة"[3].

ان التاريخ الطويل لهذه اللغة وتنوع الاستعمال لمفرداتهـــا بتنـــوع الاصـــول والبيئـــات والحضارات واختلاف الشعوب والظروف ، كل ذلك ادى إلى زيادة في المفردات والاســـاليب فضـــلا

---

(٢) المزهر في علوم اللغة وانواعها : ٤/٢ .

(١) فقه اللغة : ١٦٢ .

(٢) ينظر : مجلة العربي الكويتية : ١٠٢ العدد ٨١ اغسطس / آب ١٩٦٥م .

عن احتفاظ معجماتها اللغوية بجميع الفاظ اللغة المستعملة والمهجورة بخلاف معجمات اللغات الاخرى(١). ولكثرة الفاظ العربية ومفرداتها لم يستطيع احد من العلماء استقصاءها وتتبعّها بدقة ، وللخليل بن احمد فضل السبق في محاولة استقصائها بطريقة رياضية عن طريق جمع الحروف الهجائية في دوائر أو مثلثات وتقليبها على وجوهها المختلفة ، فحصل له من ذلك اكثر من اثني عشر مليونا من الابنية بين مستعمل ومهجور ومهمل لا معنى له(٢).

والغريب أنَّ الزبيدي في مختصر كتاب العين ينزل بهذا العدد إلى النصف تقريبا ولعله يريد ماله معنى من الابنية العربية ثم يذكر ان المستعمل من هذا العدد الكبير انما هو خمسة آلاف وستمائة وعشرون(٣). وهو مستبعد الا ان يريد بالاستعمال كثرة التداول وقرب المعنى مما يستوي في فهمه العامة والخاصة ، اما لغة العلم والادب فلا شك في أنَّ مفرداتها اكثر من ذلك بكثير ، وهذه المعاجيم اللغوية المتداولة تحتوي على عشرات الآلاف من المواد كصحاح الجوهري ولسان العرب والقاموس المحيط ، ومعظم موادها ومفرداتهالا يستغنى عنه في لغة العلم والادب.

وهكذا يظهر ثراء العربية في المفردات عندما نوازنها بغيرها ، ففي الوقت الذي تعد فيه مفردات العربية بالملايين نجد الفاظاً لا تصل إلى نصف مليون في الطبعة الثالثة لاكبر معجم بها(٤) فضلا عن كون معظمها مصطلحات علمية مقتبسة من الاغريقية واللاتينية .

إنَّ مظاهر هذه الثروة في المفردات تتجلى ايضا في الترادف وتسمية الشيء الواحد أو التعبير عنه بالفاظ مختلفة وكلمات متعددة ، وان للمعاني الشديدة التقارب كلمات خاصة بكل منها ، مهما كانت درجة التفاوت بينها ، وبذلك لا يكون محلاً للبس أو الابهام اللذين هما آفة العلم والأدب أما كثرة الأسماء للمسميات فتتمثل فيما ذكر من ان للسيف الف اسم ذكرها الفيروز ابادي(٥)، كما جمع ابن خالويه للاسد خمس مئة اسم (٦) وزاد عليه علي بن قاسم بن

---

(٣) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ٢٩٣ .

(٤) ينظر : المزهر في علوم اللغة وانواعها : ١/٧٤-٧٥ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه .

(١) ينظر : المعجم الانجليزي بين الماضي والحاظر : ١٨٤ .

(٢) ينظر : القاموس المحيط : مادة (سيف) .

(٣) ينظر : الصاحبي : ٤٤ .

جعفر اللغوي مائة وثلاثين[1]، وجمع حمزة الاصفهاني من اسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة اسم[2]، وذكر الاصمعي انه يحفظ للحجر سبعين اسما[3] وروي عن المعري انه يحفظ للكلب سبعين اسما[4] وذكر صاحب القاموس المحيط للعسل ثمانين اسما اشار اليها السيوطي[5]وما تعددت أسماؤه الثعبان أو الحية إذ وصلت إلى مئتين، ولكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والجمل والبئر اسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها وتصل الى ثلاثة مئة في بعضها الآخر[6] . وكذلك الشان في الاوصاف فلكل من الطويل والقصير والكريم والبخيل والشجاع والجبان في العربية عشرات من الالفاظ[7].

اما الدقة في وضع الالفاظ وتنوعها بتنوع المعاني وتفاوتها والتعبير عن ادق الحركات واعمق المعاني واخفى المشاعر والاحاسيس بالفاظ خاصة فكذلك معلم بارز من معالم العربية[8] وهكذا يتضح لنا من كل ما تقدم ومن غيره مدى ما تتسم به العربية من غنى غنى في المفردات وسعة في التعبير ودقة في الاداء وقدرة على مسايرة التقدم البشري في مختلف العصور .

---

(٤) ينظر : حياة الحيوان : ١ / ٢ .

(٥) ينظر : المزهر في علوم اللغة وانواعها : ٣٢٥/١ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه .

(٧) ينظر : نزهة الالباء : ٣٥٤ .

(١) ينظر : المزهر في علوم اللغة وانواعها : ٤٠٧/١ .

(٢) ينظر : فقه اللغة : ١٦٣ .

(٣) ينظر : المرجع نفسه .

(٤) ينظر : فقه اللغة وسر العربية : ١٠٥-١٠٦ و ١٧١-١٧٢ .

خصائص الجمل والأساليب :

بعد أن بينا خصائص العربية في اصواتها ومفرداتها فلا بد من ذكر خصائص هذه اللغة في الجمل والاساليب وهي خصائص تبين فضل اللغة ومــدى طواعيتهــا وصـــلاحيتها لمواكبة التقدم البشري في مختلف العصور وفي مختلف البيئات .

وبما إنَّ الغرض الأهم لكل متكلم أو كاتب بأية لغة إنما هو نقل الفكرة من صـــاحبها إلى غيره من ايسر طريق بأقل مجهود مع اتخاذ وسائل في النظم والنثر تصـــور العواطـــف والاحاسيس وتحريكها في غير تهويل أو ابهام محير اوتقصير مخل ، فان العربية قــد وفــت بذلك كله بوصفها معروفة بالايجاز الموفي بالمعنى فضلا عن ضروب والـــوان مـــن المجـــاز الغريب المؤخذ . وفوق ذلك كله اشتهرت بنظام كامل للاعراب يوضح المعنى ويزيـــل اللـــبس كيفما وقعت الكلمات في الجمل . ويتكفل البحث تناول هذه الخصائص بشيء من التفصـــيل ، واول هذه الخصائص والمميزات هو :

١. الإيجازُ :

والمقصود به : ((اداء المقصود من الكلام باقل من عبارات متعارف الاوســـاط))[١] ، وهو ضرب من البلاغة يستحسن في مواقف كثيرة ولا سيما في مواقف الجد والحزم والخطر وقد اشيد به حتى قيل : ((البلاغة : الايجاز في غير عجز))[٢] و ((خير الكلام ما قل ودل ولم يمل))[٣]، ولذلك فهو من طرائق التعبير المفضلة عند العرب يقول الشريف المرتضى : ((اعلم ((اعلم ان من عادة العرب الايجاز والاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام واطـــراح فضـــوله والاستغناء بقليله عن كثيره ، ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة ، وفي القرآن من هذه الحـــذوف

---

(١) الايضاح : ١١٠ .

(٢) البيان والتبيين : ٩٧/١ .

(٣) خاص الخاص : ٧ .

والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن في اعلى منازلة))[١].
ويقول ابن سنان الخفاجي : ((ومن شروط الفصاحة والبلاغة الايجاز والاختصار عند اكثر الناس))[٢].

ويبدو ان للبيئة العربية وقسوة الحياة فيها علاقة بهذا الايجاز فحياة الصحراء وكثرة الترحال والانتقال فرضت على العربي التخفف في كل شؤونه من طعامه وشرابه وكلامه ((فحياتهم اشبه بحياة جيش في معركة ضارية لا مكان ولا وقت فيها لزخرفة أو اسهاب))[٣]، ويدل ذلك على ان العرب حاولو ان يحذفوا من الكلام كل لفظ يمكن الاستغناء من دون اخلال بالمعنى ، فقد حذفوا فصول الاختصاص ، والاغراء والتحذير ، وحذفوا متعلق الجار والمجرور في الجملة ، وحذفوا المفعول المطلق عند وجود نائب عنه ، وهكذا فالايجاز بالحذف يشمل جميع ضروب الكلام من جمل مفيدة وغير مفيدة ، وكذلك المفردات من اسماء وافعال وحروف [٤] . باستثناء حروف العطف لأن حرف العطف لا يجوز حذفه لأن لا يقوم عليه دليل من قياس ولا سماع لأن حرف العطف لو أضمر لم يبق ما ينبئ عن معانيه . ولحب العرب للتخفيف وهروبهم من الثقل والتطويل كان قصر الممدود احب إليهم من مدّ المقصور ، ومن كل ما تقدم تتضح مكانة الايجاز وصوره واهميته في العربية مما يعد بحق خصيصه من ابرز خصائص العربية إذ تشمل من هذه اللغة حروفها والفاظها وتراكيبها ولذلك صرح ابن سنان الخفاجي برأي مفاده أن أي كلام ينقل إلى لغة العرب إلى ان يجيء الثاني اقصر من الاول مع سلامة المعاني وبقائها على حالها وهذا بلا شك فضيلة مشهورة وميزة كبيرة[٥].

٢. المجاز :

المقصود به استعمال اللفظ أو الاسلوب في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنين تسوغ هذا النقل وتوضحه وقرينه مانعه من إرادة المعنى الحقيقي وقد تكون هذه العلاقة هي

---

(١) امالي المرتضى : ٢/٣٠٩ .

(٢) سر الفصاحة : ١٩٧ .

(٣) مغامرات لغوية : ٣٢٨ .

(٤) ينظر : تفصيل ذلك وامثلته في المثل السائر : ٢/٢٧٩-٣٣٣ .

(٥) ينظر : سر الفصاحة : ٤٠ .

المشابهة كما في الاستعارة بانواعها التصريحية والمكنية والتمثيلية أو غيرها كما في المجاز المرسل وعلاقاته الكثيرة ، وقد يكون المجاز في الاسناد أي اسناد الفعل أو ما في معناه إلـــى ملابس له من غير ما هو له بتاويل .

وهذه الانواع المتعددة للمجاز تحتها فروع مختلفة واصناف متعددة وصـــور رائعـــة تمكن الإنسان من التعبير عما يريد بطرق مختلفة في الوضوح وأساليب متفاوتة في البيـــان ، ونظرا لأهمية المجاز ومكانته فقد قام عليه أهم علم من علوم البلاغة وهـــو علـــم البيـــان . والمجاز بأنواعه جميعاً ابلغ من الحقيقة لما فيه من إبراز المعاني في صورة المحسوسات أو ابراز الشيء ببينة أو لما فيه من شحذ الأذهان وتجديد نشاطها بعرض صور طريفـــة تلفـــت النظر وتنبه الخاطر ولذلك فهو الغالب على أساليب الكتابة الأدبية في النظم والنثـــر إذ يريـــد المنشيء مخاطبة العقل عن طريق الوجدان والشعور .

ومن ثم فلا غرابة ((ان نطلق على اللغة العربية بأنّها لغة المجاز لا لكثرة التعبيـــرات المجازية فيها فذلك قد يحدث في غيرها من لغات الحضارة ، بل لأنّها تجاوزت حدود الصورة المحسوسة إلى حدود المعاني المجرّدة))(١).

فمعظم الالفاظ كانت في اصل وضعها تدل على اشياء محسوسة ثم احتيج مع مـــرور الزمن وارتقاء العقل إلى التعبير عن معان أخر استجدت في مجال الحياة فنقلت الالفـــاظ ذات المدلول الحسي إلى المعاني التي تربطها بها علاقة ما .

ومزية العربية تتجلى في وضوح هذه العلاقة واستمرار اللفظ واحتفاظه بمعنييـــه دون لبس أو غموض إذ توجد كلمات كثيرة بقي لها معناها الحقيقي مع شيوع معناهـــا المجـــازي على الألسنة حتى ان الباحث ليحار في ايّها السابق وايها اللاحق فلا لبس بين قولنا : فـــلان يقيّد شوارد الفكر ويقيد الاسير بالحديد ، والشرف بمعنى رفعة المقام ، ورفعة المكان(٢).

((وقد يغلب المعنى المجازي فيكون هو المتبادر إلى الذهن فمن منا اليـــوم يقـــرن لفظة العقل بعقال البعير ، والمجد بامتلاء بطن الدّابة ، والنفس بعمليـــة التـــنفس ، والـــروح بالريح والهواء(٣) ، وعند الموازنة بين العربية واللغات الاخرى في استعمال المعنى الحقيقـــي

---

(١) اللغة الشاعرة : ٤٠ .

(١) ينظر : اللغة الشاعرة : ١٥ .

(٢) نحو عربية ميسرة : ١٤ .

والمعنى المجازي في وقت واحد يبدو من هذه الموازنة ان الكلمات التي تستعمل للغرضين كثيرة في العربية ، وليست بهذه الكثرة في اللغات الأوربية ، ولذلك يحار ابناء اللغات المحرومة من هذه المزية في استخلاص المجاز الشعري من الصور المحسوسة فيصعب عليهم فهم الشعر العربي من خلال الترجمة إلى لغاتهم))[١].

٣. تنوع الجمل والتراكيب :

تتميز العربية بمرونة واضحة في تكون الجمل إذ تكون اسمية مكونة من مبتدا وخبر مفردين أو جملتين ، بتقديم المبتدأ تارة وتاخيره اخرى نحو: الله ربنا ومحمد نبينا ، أو ربنا الله ونبينا محمد ، بحسب اهتمام المتكلم أو السامع . و (لا اله الا الله) كلمة التوحيد أو تنجي صاحبها من الخلود في النار والعلم يدعو إلى الايمان ويقوي العقيدة ، وقد تكون الجملة فعلية مكونة من فعل وفاعل فقط أو مع مفعول أو مفعولين أو غيرهما بتقديم المفعول قبل الفعل أو تاخيره عنه وعن الفاعل أو توسط بينهما ، وكذلك الشان في كثير من المنصوبات إذ تكون لها حرية الحركة في الجملة بحسب ما يراد منها من اغراض بلاغية .

وقد يكون الكلام شبه جملة من ظرف أو جار ومجرور ويؤدي معناه كاملا دون لبس أو غموض ويعود الفضل في مرونة الجملة العربية وتنوعها إلى مزية الإعراب التي تكفلت بايضاح المعنى مهما تقلبت المفردات في الجملة وكيفما وقع التصرف فيها ، ((ولذلك لجأت لهجتنا العامية إلى الاقتصار على الجملة الاسمية في الاساليب الخبرية التي تظهر الحاجة فيها إلى الإعراب بان تكون الجملة محتوية على فعل متعد معه اسمان يصلح كل منهما للفاعلية أو المفعولية ولم تظهر قرينة . ولم تستعمل الجملة الفعلية الا حين يكون فعلها لازما نحو : سافر محمد أو الجمل الطلبية إذ يكون الفاعل واضحا وهو المخاطب أو عندما تكون هناك قرينة معنوية مثل : ((حصل محمد جائزة . وكذلك الامر في اللغات الاوربية فهي تقدم الفاعل دائما ثم الفعل ثم المفعول ان وجد ، ولا تقدم الفعل الا شذوذا))[٢].

وقد لا حظ بعض المستشرقين ((وجود الجملة الفعلية في اللغات السامية ولا سيما العربية إذ ان لاغلب الكلمات مظهرا فعليا حتى في الاسماء الجامدة والالفاظ الدخيلة التي

---

(٣) اللغة الشاعرة : ٤١ .

(١) أشتات مجتمعات : ٧٥ .

اشتق منها فاخذت مظهرا فعليا ايضا ، ورجح بذلك ان يكون الفعل هو اصل الاشتقاق كما ذهب اليه الكوفيون ، ونتيجة لذلك فقد سادت العقلية الفعلية على اللغات السامية))[١].

لم يكن ولفنسون واضح القصد بحكمة سيادة العقلية الفعلية على اللغات السامية ومنها العربية ، ولعله يتخذ من دلالة الفعل على التجدد والحدوث مغمزا في عقلية الشرقيين كما ذهب إلى ذلك غيره من المستشرقين إذ فسر وجود الجملة الفعلية في هذه اللغات باختلاف درجة الشعور بالثبوت للشخصية الانسانية فذلك ملازم للغربيين ، ضعيف عند الشرقيين[٢].

ولا شك في ان هذا التعليل غير صحيح لان اهتمام اللغات الاوربية بالفعل اوضح من اهتمام العربية به إذ يجوز ان تخلو الجملة العربية من الفعل تماما أو في الظاهر وتؤدي معناها كاملا بينما لا يجوز ذلك في اللغات الاوربية ، فلا يسمى الكلام جملة اذ خلا من الفعل الظاهر ولا يؤدي معنى كاملا عندهم ، والفاعل عندهم مقدم دائما ولو كان حيوانا أو جمادا مثل : الجواد سريع ، والشجر مورق ، والهواء طلق ، فاين الشعور بالثبوت للشخصية الانسانية هنا؟

واللغات الهندية الاوربية تتكلم بها امم مختلفة في جنسها وثقافتها فلا يمكن ان يحكم عليها بحكم واحد .

فعلة هذا الاختلاف ان اللغة العربية اوفى واكمل منها اللغات الأوربية فضلا عن كون الجملة الاسمية موجودة في اللغة العربية ولم يكن تقديم الفعل على الفاعل عجزا عن تركيب آخر يتقدم فيه الفاعل ، بل كل جملة فعلية تقبل التحول إلى جملة اسمية ، ومتى ثبت الفرق بين موقع الفعل والفاعل في الجملتين الاسمية والفعلية ، فالاكتفاء في الجملة الاسمية عند الأوربيين نقص منتقد وليس مزية تدل على الكمال والارتقاء[٣].

ويلاحظ ان الباحثين يجرون الموازنات بين العربية واللغات الاوربية الحديثة ويبينون مزايا العربية بالنسبة إلى تلك اللغات لأنّها هي التي تنافس العربية في جميعها ، في مجالات العلوم الانسانية والتطبيقية اما السامية فمعظمها قد اندثر ولا وجود للغة مستعملة في

---

(٢) تاريخ اللغات السامية ولفنسون : ١٤-١٥ .

(٣) ينظر : أشتات مجتمعات : ٥٨ .

(١) ينظر : أشتات مجتمعات ٥٨ .

مجالي العلم والادب الا العبرية وهي مع ذلك قد تاثرت باللغات الاوربية تاثرا كبيرا واصبحت ابعد ما تكون عن الاسلوب الشرقي في تركيب الجمل وانسجامها مع الفكر ، ومن يطالع الصحف العبرية المعاصرة يلمس هذا الفرق الشاسع بين العبرية الفصحى والعبرية الحديثة واساليبها التي هي لا شرقية ولا غربية[١].

طريقة نظم الشعر :

الشعر وسيلة بشرية للتعبير عن خوالج النفس وبواطن الشعور ، أو لتصوير البيئة وما تشتمل عليه باسلوب يؤثر في النفوس ، وهذا دون ادنى ريب في كل اللغات وعند كل الشعوب ، غير ان العربية تفردت بطريقة نظمية لم تظفر بها غيرها من اللغات السامية ، تلك الطريقة التي تلتزم الوزن في كل لفظ من الفاظ البيت بمصراعيه ثم في القصيدة برمتها فضلا عن اتخاد ابيات القصيدة في القافية والروي وحركة الروي .

جاء الشعر العربي في اوزان كثيرة سميت بحور الشعر بعد عصر التدوين إذ كان الشاعر ينظم بسليقته حتى عصر الخليل بن احمد الفراهيدي الذي اكتشف هذا العلم ومصطلحاته ، فالشعر العربي قديما وحديثا-جاء على البحور التي اكتشفها الخليل-متفقاً في حركاته وسكناته أو في اسبابه واوتاده كما يقال في مصطلح العروض . وهذا النظام المحكم في صوغ الشعر قد انفردت به العربية ولا تجده في لغة من اللغات الاخرى كما صرح بذلك أبو حاتم الرازي[٢]، وابن فارس[٣] نقله عنه السيوطي في المزهر[٤]، فضلا عما صرح به العقاد قائلا ((اما الشعر الذي يلاحظ القافية والوزن وأقسام التفاعيل في جميع بحوره وابياته فهو خصيصة من خصائص اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم اجمع ومنها اللغات السامية التي تنتمي اليها لغة الضاد فالشعر في اللغات الاخرى ليس له وزن ثابت اوقافية موحدة ، وقلما تجد القافية في الاشعار التي تنشدها الجماعات كالشعر المسرحي عند اليونان وتراتيل الصلاة والعبادة عند العبرانيين ولم يعرف شعراء اللغة العبرية الشعر الموزون الا

---

(٢) ينظر : مقدمة المعجم الحديث عبري عربي : ١٤-١٥ .

(١) الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية : ١٢٢/١ .

(٢) ينظر : الصاحبي : ٧٧ .

(٣) ينظر : المزهر في علوم اللغة وانواعها : ٣٢٨/١ .

بعد اتصالهم بالعرب في المشرق والمغرب))[1] اما اغاني الفرس القديمة ((فهي بين الشعر والكلام المنثور وليست هي على وزن الشعر ، والدليل على ان الشعر لم يكن في العجم وان الشعر والشاعر ليس لهما مرادف في الفارسية))[2].

((واما الذي احدثوه من الشعر بالفارسية بعد الفتح العربي فهو شيء محدث غير قديم سمعوا الشعر العربي فتكلفوه وحذوا حذوه))[3].

وليس لدى الاحباش من قوالب الصياغة الفنية سوى التقفيه أي استعمال السجع[4] ثم يقول بروكلمان : ((ومن الضلال البين ما زعمه تكاتش من ان عروض العرب نشأ على اساس شعر اليونان ، لان الرجز العربي-الذي يعتقد بركلمان ان الشعر العربي تطور عنه- ذلك الرجز لا يشبه العروض اليوناني الثلاثي التفعيلات الا شبها ظاهريا))[5].

٤. تكامل نظام الإعراب فيها :

من أهم خصائص هذه اللغة واظهر مميزاتها تكامل نظام الإعراب فيها إذ تتميز الوظائف التركيبية للكلمات في الجمل بحركات خاصة لا اختلاف فيها ولا اضطراب فالفاعل ونائبه والمبتدأ وخبره واسم كان وخبر ان وتابع كل منها مرفوع دائما والأسماء الفضلات أو ما يشبهها في الجملة كالمفعولات والحال والتمييز والمنادى واسم ان وخبر كان وتابع كل منها منصوب دائما ، وهناك اسماء يكون حكمها الجر بالحرف أو بالاضافة أو التبعية ، كما وان الفعل المضارع يرفع أو ينصب أو يجزم ، كل ذلك بعلامات محدودة واضحة ، وفي اوضاع ثابتة مطردة على وفق قواعد وقوانين ليس من الصعب فهمها أو الالمام بها. هذا اذا كان الاسم معربا قابلا للحركة ، فان كان غير ذلك استعين على ايضاح المراد باساليب وقرائن خاصة .

وقد التزم العرب هذه الظاهرة اللغوية وتكلموا بسليقتهم طبقا لها ، ثم جاء علماء العربية فقعدوا هذه الظاهرة ووضعوا لها المصطلحات والقوانين العامة وبينوا ما ينطبق عليها وما يشذ

---

(٤) اللغة الشاعرة : ٢٤-٢٩.

(١) الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية :١٢٢/١.

(٢) المصدر السابق : ١٢٣/١ .

(٣) تاريخ الادب العربي : ٥١/١ .

(٤) المرجع نفسه .

عنها وسبب ذلك وعلته ان هذا النظام المحكم للاعراب الشامل لكثير من انواع الكلام وبعلامات قليلة تعبر عن مختلف الوظائف النحوية للكلمات بيسر وسهولة يعد ميزة من مميزات العربية ولا يشركها فيه غيرها من اللغات الاخرى المعاصرة سامية أو غير سامية ((اما اللغات القديمة فيبدوا ان كثيرا منها كان معربا كالبابلية والسنسكريتية واللاتينية بينما تجردت اغلب اللغات المتفرعة عنها من الإعراب كما هو الشان في اللهجات العربية والحديثة))[١] ((فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية القديمة التي ترجع لعهد حمورابي ثم تطورت إلى حركتين ، ثم إلى حركة واحدة وهي الكسرة الممالة))[٢]، ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها اوجد الإعراب في النبطية فقد ذهب نولدكه ((إلى ان النبط كانوا يستعملون الضمة للرفع ، والفتحة للنصب ، والكسرة للجر ولا يعقبون هذه الحركة بالنون ووافقه على ذلك المستشرق اينو لتمان))[٣].

وهناك شيء من بقايا الإعراب في اغلب اللغات السامية ((ففي العبرية كحرف (s) للمفعول به ، و (ن لم) لضمير التبعية أو الاضافة ، وفي السريانية كحرف ـ دال ـ لتعيين ضمير التبعية وفي البابلية كلمة SUT لتعيين ضمير التبعية))[٤] . وهكذا ، متغير اواخر الكلمات موجود في كثير من اللغات السامية ولكن دلالة هذه الحركات قد تلاشت في غير العربية ، وعليه فقد احتفظت العربية الفصحى بسمة من اقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع الغات السامية ما عدى البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الادبي[٥] ومن خلال ذلك يمكننا القول بان ظاهرة التصرف الإعرابي سامية قديمة ، ((ولكن العربية تنفرد بتعميمها وتنظيمها بحيث انتظمت اكثر الالفاظ في حين نجد الإعراب في سائر اللغات السامية))[٦].ضئيلا جدا لا يعدو امثلة قليلة فهذا النظام الشامل الدقيق ليس له نظير في سائر اللغات السامية .

ولقد دلت الموازنات على ان اللغات السامية لا تعرب الخبر ولا المضاف ولا المضارع الا في حالة النصب ، ومعنى ذلك ((ان اعراب هذه الانواع حديث في العربية لنوع

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١/٥١ .

(٢) فقه اللغة المقارن : ١١٨ .

(٣) ينظر : تاريخ اللغات السامية ولفنسون : ٧٣ . وفقه اللغة المقارن : ١١٨ .

(٤) تاريخ اللغات السامية : ١٥ .

(٥) ينظر : العربية : ٣ .

(١) المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية : ٣٤ .

من القياس والمجانسة التي يحرص عليها العرب وللتمييز بين المعاني المتشابهة))[١]. وتوجد حالات الإعراب كذلك ((في اللغة الاوجاريتية وهي احدى اللغات السامية المكتشفة حديثا ، الا انه لقلة النصوص المكتشفة بهذه اللغة لم يعثر على صور الإعراب الا في الرمز الدال على الهمزة ، إذ صورت في حالة الرفع بصورة ، وفي حالة النصب بصورة اخرى وفي حالة الجر ... وتظهر في الحبشية كذلك حالة الإعراب بالنصب والتي تطابق نظيرتها العربية إلى حد كبير))[٢] اما الإعراب في غير اللغات السامية فهو وان وجد في بعضها كالاتينية والالمانية الا انه لا يتسم بالدقة والشمول والوضوح كما في العربية . ويعلل بعض المستشرقين وجود الإعراب في العربية ((لخلوها من تركيب المفردات بعضها مع بعض وايجاد معان جديدة لتلك المركبات كما في اللغات الارية))[٣]. وليس من حجة تثبت صحة هذه الدعوة ، بل الذي ثبت أن في العربية كثيرا من التراكيب ، و أنّها افادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني ففيها التركيب الاضافي والمزجي والاسنادي مثل : عبد الله ، وبعلبك ، وتابط شرا ، وبعض الظروف والاحوال نحو زرته صباح مساء ، وهو جاري بيت بيت ، وتفرقوا شذر مذر ، والاعداد المركبة نحو احد عشر إلى تسعة عشر باستثناء اثني عشر . وقد يكون بعض هذه المركبات مبنية كالظروف والاحوال التي تقدم ذكرها ((ولكن الكثير منها معرب كالمضاف والمضاف اليه لا يبنيان بسبب التركيب))[٤] والمركب المزجي يعرب اخره اعراب مالا ينصرف ، والكلمات المنحوتة نحو البسملة و الحوقلة والحسبلة معربة اذا اخذنا براي ابن فارس القائل : ((ان اكثر الابنية التي تزيد اصولها على ثلاثة احرف منحوتة من كلمتين))[٥]. وقد علل العلماء بناء الاعداد المركبة لـ ((شبه الجزء الاول للحرف في افتقاره إلى ما بعده وتضمن الثاني لمعنى الحرف العاطف ، واجروا الاحوال والظروف المركبة مجرى تلك الاعداد))[٦]، ولم يجعلوا علة البناء التركيب لان من شان العلة ان ترتبط بالمعلول وجودا وعدما وهو ما لم يتحقق هنا،فهنالك مركبات معربة كما تقدم ، وهناك مبنيات بسيطة غير

---

(٢) المرجع السابق : ٣٧ .

(٣) قضية الإعراب بين ايدي الدارسين : ١٠٦ .

(٤) اللغات السامية : ١٥ .

(١) شرح الرضي على الكافية : ٣/١٣٠ .

(٢) الصاجي : ٢٧١ .

(٣) شرح الرضي على الكافية : ٣/١٣٥ .

مركبة كأغلب الحروف وكالضمائر ، واسماء الإشارة والموصولات وكثير من اسماء الشرط والاستفهام فتعليل وجود الإعراب في العربية بانعدام التركيب غير مسلم به لما تقدم بيانه ((وهذه آراء وافتراضات لا دليل عليها ولا حجة لها وربما صحت في لغاتهم ، ولكنها ابعد ما تكون عن لغتنا ونظامها الإعرابي))[١].

((ويرى اناس من مؤرخي اللغات ان الإعراب في العربية اثر من آثار استخدام الحركة في التعبير عن المعنى))[٢]، والحقيقة ان الظواهر اللغوية لا تخلق خلقا ، ولا تكون طفرة ، وعلى ذلك فليس من السهل تتبع مراحل حياتها بحيث نعرف كيف نشأت ؟ ومتى تكونت ؟ وعن أي شيء تطورت؟ بل تتكون بصورة تلقائية وفي احقاب طويلة وعلى مراحل تقتضيها سنة الله في خلقه من التطور والتدرج نحو الكمال .

ان تميز العربية بظاهرة الإعراب حقيقة ترسخت لدى علماء العربية منذ القدم فقد ادركوا هذه المزية ، وعرفوا هذه الفضيلة ، ونوهوا بها في مؤلفاتهم،وفاخروا بها في مناقشاتهم مع ان الكثير ممن صرحوا بذلك كانوا من غير العرب من امثال :ابي حاتم الرازي الذي يقول في سياق حديثه عن فضائل العربية: ((وللعربية فضائل ليست لسائر اللغات ، فان لها قانونا يرجع اليه ومعيارا يعتد به ومقياسا يقاس عليه))[٣] ويعني بذلك علم النحو ثم ينقل عن ابن سلام قوله : ((للعرب في كلامهم علامات لا يشركهم فيها احد من الامم نعلمه منها : تعريف الاسم بـ (ال) والزامهم اياه الإعراب في كل وجه رفعا ونصبا وجرا))[٤]. وقد صرح بذلك ابن فارس قائلا : ((من العلوم الجليلة التي اختصت به العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ))[٥]. وفي موضع آخر : ((وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها وهم يعرفون بالحركات وغيرها من المعاني))[٦] وهذا ما ايدته الدراسات الحديثة كما تقدم من أقوال علماء العرب المحدثين واقوال المستشرقين من خلال الدراسات اللغوية الموازنة بين اللغات السامية وغيرها فالإعراب سمة من سمات العربية في كل مستوياتها شعرا ونثرا لغة

---

(٤) قضية الإعراب : ١٠٩ .

(٥) اللغة الشاعرة : ١٩ .

(١) الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية : ٧١/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٧/١ .

(٣) الصاحبي : ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩١ .

ولهجات سائدة على ألسنة الناس عامتهم وخاصتهم في العصور التي كانت فيها اللغة العربية نقية والسلائق سليمة ، وهي التي سميت فيما بعد بعصور الاحتجاج بالشعر فـان للعلامـات الإعرابية أثراً كبيرا فيه إذ تتوقف موسيقاه ومعانيه على هذه العلامات وبدونها لا يمكن اقامة وزنه أو فهم اعراضه كما سياتي توضيحه في الفصل الثاني والامر كـذلك فـي النصـوص النثرية كما في خطبة قسّ بن ساعدة الايادي التي يدعوا فيها إلى الايمان بالبعـث(١)، وفـي خطبة عبد المطلب امام سيف ابن ذي يزن(٢)، وخطب رسل النعمان بن المنذر امام كسرى(٣). فهذه الامثلة و غيرها معربة وان للاعراب اثرا كبيرا في وضوحها وروعتها .

ان ظاهرة الإعراب وجدت قبل الاسلام بزمن طويل واستمرت على ألسـنة العـرب الخلّص بعد الاسلام إلى اواخر القرن الثاني الهجري في الحضر واواخر القـرن الرابـع فـي البادية ، ولذلك فان علماء العرب والمفكرين منهم ادركوا قيمة هذه الظاهرة وحرصـوا علـى صيانتها منذ الحقبة الأولى لظهور اللحن فكان ذلك سببا في وضع النحو والعناية باحكامه كما سيتضح من الفقرة الاتية .

---

(٥) ينظر : البيان والتبيين : ٥٢/١ .

(١) ينظر : العقد الفريد : ٢/ ٢٣-٢٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١١/٢-١٩ .

ظاهرة الإعراب وأثرها في نشأة النحو :

الإعراب من قرائن المعنى النحوي ، ويعرف هذا المعنى بوساطة الإعراب من جهتين :

إحداهما : العلامة الإعرابية وثانيهما هو المعاقبة ، والمقصود بالمعاقبة صلاحية عنصر لغوي أن يحل محل عنصر آخر .

ولا شك في ان العلماء والمفكرين السابقين من العرب قد ادركوا قيمة الإعراب في الكلام وان ضياعه من اللغة والتفريط فيه يؤديان إلى ضياع العربية واندثارها ومن ثم إلى ضياع القرآن الكريم بسبب قطع الصلة بينه وبين المسلمين ولذا كان السبب الاساسي لوضع النحو هو ظهور اللحن بين ابناء العرب المسلمين بسبب اختلاطهم بالأعاجم بعد الفتح وقبله إذ كانت توجد طائفة كبيرة من غير العرب بالجزيرة العربية كتجار أو رقيق مما ادى الى ظهور اللحن في زمن مبكر وفي عصر الرسول الكريم ﷺ نفسه إذ رُوِيَ ان رجلا لحن بحضرته فقال : ((ارشدوا اخاكم فانه قد ظل))[1] ومع اننا لم نعرف نوعية هذا اللحن وهل كان في الإعراب أو في نطق الحروف واستعمال الكلمات ، الا ان معظم الروايات التي ذكرت لتعليل نشأة النحو كانت روايات تدور حول خطأ في الإعراب ترتب عليه التباس في المقصود أو ايهام معنى غير لائق بالمقام أو بقصد المتكلم. ولا غرو فالاخطاء الصوتية أو الدلالية قد تثير السخرية ولكنها مع ذلك اقل خطرا لظهور فسادها أو لقلة تشويهها للفظ كما روي عن سحيم عبد بني الحسحاس من قوله : (ما سعرت) بدلا من (ما شعرت)[2] وقول صهيب بن سنان (انك لهائن) يريد (انك لحائن)[3] أي هالك ، وهذه الاخطاء تنسب دائما إلى اشخاص لم ينشؤا نشاة عربية بل تمرسوا في طفولتهم بلغة اخرى تختلف عن العربية في اصواتها وقد

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٤٧٧/٢ ، الخصائص : ٨/٢ .

(٢) البيان والتبيين : ٧٢/١ .

(٣) المصدر نفسه .

تنبه الجاحظ إلى ذلك عندما حكى ان السندي أو النبطي الذي يجلب كبيرا إلى بلاد العرب يصعب عليه نطق بعض الحروف ولو بقي بارض العرب خمسين عاما[١].

اما اللحن في الإعراب فهو اشد خطرا وادل على ضعف المستوى اللغوي لصاحبه إذ يؤدي إلى تحريف المعاني وغموض المقاصد ، ((ولذلك كان العرب اشد استنكارا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة لان بعضهم قد ينطق بحضرتة بكثير من اللغات فلا ينكرها))[٢].

ويظهر افساد اللحن للمعنى بصور واضحة في تلك الامثلة التي نبهت اصحاب الغيرة على هذه اللغة إلى وضع النحو إذ روي ان ابنة ابي الاسود قالت لابيها : ((ما اجمل السماء))[٣]، وفي رواية اخرى : ((ما اشد الحر))[٤] بصيغة الاستفهام ، وعندما اجابها بحسب ما يقتضيه كلامها قالت له : ((انما اردت التعجب ولم ارد الاستفهام فحين اذ وضع كتابا أو وضع باب التعجب))[٥] ولذلك قال ابن ابي الاسود : ان ((اول باب رسم ابي من النحو باب التعجب وقيل باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والنصب))[٦]، وهذه هي الابواب التي تظهر فيها فائدة الإعراب واضحة جلية في التفريق بين المعاني المتشابهة كما تظهر في مضار اللحن وما تؤدي اليه من لبس وغموض .

لقد افزع اللحن ذوي الشأن فبادروا إلى استنكاره وعلاجه لانه يهدم اهم خصائص العربية واهم رسائلها للتفريق بين المعاني ، ولانه اول ما اختل من كلام العرب فاحوج إلى التعلم كما يقول ابو الطيب اللغوي[٧]. فدعا النبي ﷺ إلى ارشاد اللاحن ، وعاتب عليه الخليفة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالفعل والقول ، فقد كتب إلى ابي موسى الاشعري عامله على البصرة يأمره ((بضرب كاتبه على اللحن وعزله))[٨] ، وياليت اللحن وقف عند هذا الحد من

---

(١) ينظر : البيان والتبيين : ٧٠/١ .

(٢) الخصائص : ٢٦/٢ .

(٣) نزهة الالباء : ١٠ .

(٤) اخبار النحويين البصريين : ٣٦ .

(٥) أنباه الرواة : ١٦/١ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) مراتب النحويين : ٥ .

(١) ايضاح الوقف والابتداء : ٥٢/١.

كلام الناس ، ولكنه استشرى وانتشر حتى وصل إلى كتاب الله عز وجل ، فوقعت اخطاء صارخة في قراءته ادت إلى معان غير مقصودة للقاريء كما في قوله تعالى ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[1]إذ قرأ امام اعرابي لفظة الرسول بالكسر ، ففهم منها الإعرابي تبرّؤَ الله من رسوله ، فقال : ((ان كان الله قد تبرأ من رسوله فانا ابرأ ممن برئ الله منه)) [2] ، ومن نماذج اللحن التي روي أنّها طرقت سمع الامام علي (عليه السلام) ودفعته إلى التفكير في وضع حل لهذه المشكلة قراءة بعضهم لقوله تعالى ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ﴾ [3] بصيغة النصب بدلا من صيغة الرفع لكلمة الخاطئين[4] ومن هنا بدت مسالة اللحن ظاهرة غريبة عن العرب مستهجنة لديهم بل قد عدها كثير منهم ذنبا تخشى عاقبته ويستغفر منه [5] واذا كان اللحن عند هؤلاء ذنبا فلا شك في انهم يرون تعلم الإعراب واجبا ودراسة احكامه متحتمة ولا سيما أن اللحن في بعض صوره قد يصل إلى درجة الكفر والعياذ بالله أو يوهم تحليل ما حرم الله تعالى كما روي ان سابقا الاعمى كان يقرأ : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [6] بفتح الواو في كلمة المصور واذا لقيه ((ابن جابان يقول له : يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه))[7]، ومن ذلك ايضا ان اعرابيا سمع اماما يقرأ : ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [8] بفتح التاء من تنكحوا فاستعظم ذلك ، ولما وضحت له الحقيقة قال : ((ولا تجعلوا بعدها اماما فانه يحل ما حرم الله))[9].

نخلص من ذلك كله إلى ان ظاهرة الإعراب وشعور المسلمين بقيمتها وبالضرر الذي يترتب على فقدها هي السبب الاول في وضع النحو الذي يصون هذه الظاهرة السليقة

---

(٢) التوبة : ٣ .

(٣) نزهة الالباء : ٨ .

(٤)الحاقة : ٣٧ .

(٥) نزهة الالباء : ٨ .

(٦) ينظر معجم الادباء : ١/٧٩ و٩٠ .

(٧)الحشر : ٢٤ .

(١) البيان والتبين : ٢/٢١٩ .

(٢) البقرة : ٢٢١ .

(٣) عيون الاخبار : ٢/١٦٠ .

السليمة ، ويمكن المتكلم من انتحاء سمة كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية باهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم وان شذ بعضـــهم عنها رد به اليها .

الفَصلُ الثّانِي

الإعراب، دلالته وعلاماته

*الإعراب لغة
*الإعراب اصطلاحا
*المعرب من الكلم وموقع الإعراب منه
*علامات الاعراب
*التنوين انواعه ودلالته
*دلالة علامات الاعراب عند قدماء النحويين
*امثلة وشواهد لهذه الدلالة : بين الفاعل والمفعول . بين المبتدأ والخبر وغيرهما في مجال العطف ، في مجال الاضافة ، في مجال الوصف ، في مجال الحال ، في مجال الحروف الطلبية ، راي اللغويين المحدثين في هذه الدلالة

*المؤيدون لدلالتها في المعنى
*المنكرون لهذه الدلالة

الإعرابُ لغة :

الإعراب مصدر أعرب ولهذه المادة ومشتقاتها معان لغوية كثيرة يدور معظمها في الابانة والافصاح والظهور والايضاح .

والتعريب مثل الإعراب ، قال ابو منصور الازهري : ((الاعراب والتعريب معناهما واحد وهو الابانة ، يقال : اعرب عنه لسانه وعرب أي ابان وافصح ، ويقال : عرّبت له الكلام تعريبا ، واعربته له اعرابا اذا بينته له ويقال : اعربْ عمّا في ضميرك أي ابِنْ))[١] ومنه في الحديث : ((الثيّب فيعرب عنها لسانّها))[٢]، روي يعَرب ويَعّرب بالتخفيف والتضعيف والتضعيف على خلاف في ذلك قال في النهاية في غريب الحديث بعد ذكره لهذا الخلاف : ((وكلا القولين لغتان متساويتان بمعنى الإبانة والإفصاح))[٣] ويلاحظ ان استعمال الاعراب قد قد شاع لدى النحاة للدلالة على علامات الاعراب وعلاقتها بالتراكيب ، بينما شاع التعريب لدى اللغويين على نقل الكلمات الاجنبية الى العربية.

ومن معاني الاعراب : الجولان يقال : ((عَرِبَتِ الدابةُ جالت في مرعاها واعربها صاحبها أي اجالها))[٤] وفيه معنى الظهور والخروج الى المرعى .

ومن المعاني الاخرى التحسين يقال : ((اعربْتُ الشيء ، أي : حسّنتُه ، أواظهرت محاسنه))[٥] ومنه تسمية المرأة بالعروب اذا كانت تتحبب الى زوجها باظهار محاسنها[٦] .

ومن معانيه – كذلك – التغيير والازالة يقال : عَرِبت (بكسر الراء من باب عَلِمَ) معدة الفصيل اذا تغيّرت ، واعربت الكلام ، أي : ازلت عَرَبَه ، وهو فساده فتكون الهمزة للازالة والسلب ، ويأتي اعرب لازما لمعنى تكلم بالعربية أوصارت له خيل عراب أوولِدَ لَهُ ولدُ عربي

---

(١) تهذيب اللغة : مادة عرب .

(٢) النهاية في غريب الحديث والاثر : ٢٠١/٣ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) همع الهوامع : ١٣/١-١٤ .

(٥) اسرار العربية : ١٨ .

(٦) المصدر نفسه : ١٩ .

اللون لظهور صفات العروبة على من حصل له ذلك ، أوتكلّم بالفحش فاظهر ما يجب ستره ، أوأعطى العربون لاظهار عزمه على الشراء[١].

هذه اشهر المعاني اللغوية للاعراب ويفهم من معظمها معنى الابانة والظهور والافصاح . ولا غر فاصل ذلك كله قولهم-العرب-لما يعزى اليهم من الفصاحة والبيان .

الاعراب اصطلاحا :

نظر العلماء من النحاة الى اواخر الكلمات العربية حال استعمالها في جمل مفيدة وراوا ما يحدث فيها من تغييرات في اللفظ تبعا لما يحدث فيها من تغييرات في المعنى وبوحي من المعاني اللغوية السابقة للإعراب وإيمانا بأهميته في التمييز بين المعاني راوا ان يطلقوا مصطلح-الإعراب-على احوال الكلم وتغييراتها في الجمل العربية ، واستمر هذا المصطلح واضحا جليا حتى تسربت الى النحو طريقة البحث الفلسفي من الاهتمام بالحدود والرسوم والخواص والأعراض وتخصيص الاسم من المسمى والدال من المدلول وغيرها ، عند ذلك اختلفوا في تحديد مدلول الإعراب : أهو الحركات نفسها وما ينوب عنها؟ أم هو التغيير الذي يحدث في احكام الكلمات تبعا لتغيير وظائفها ويدل عليه بالعلامات؟ وبعبارة أخرى أهو اثر لفظي ام تغير معنوي ؟ فذهب فريق منهم الى انه اثر لفظي وهو الحركات الملفوظ بها أو ما ينوب عنها حيث لا يتبين إعراب المعرب بغيرها .

وهو مذهب الجمهور واليه ذهب ابن خروف والشلوبين وابن الحاجب وابن مالك وسائر المتأخرين[٢]

وهو ما ذهب اليه ابن هشام في شذور الذهب[٣] ورأي الاشموني اقرب الى الصواب عند شرحه لهذا الباب من الالفية[٤] كما اقتصر عليه الزجاجي في الايضاح[٥] وهو راي ابن درستويه [١].

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة والنهاية في غريب الحديث في الموضوعين السابقين وهمع الهوامع : ٤١/١ .

(٢) ينظر : همع الهوامع : ٥٩/١ .

(١) ينظر : شذور الذهب : ٣٣ .

(٢) ينظر : شرح الاشموني بحاشية الصبان : ٤٩/١ .

(٣) ينظر : الايضاح في علل النحو : ١٩ .

قال ابن مالك : ((وهو عندهم عبارة عن المجعول آخر الكلمة موضحا للمعنى الحادث فيها بالتركيب من حركة أو سكون أو ما يقوم مقامها ، وقد يتغير بتغيير مدلوله وهو الأكثر كالحركات الثلاث في : ضرب زيدٌ غَلام عمرو وربما يلزم للزومه كرفع : (لعمُرك ولا نللُك) ونصب : (رويدَك وسبحانَك) وجر : (الكلاع وعريط) من ذي الكلاع وام عريط))[2] وعلل ابن مالك ترجيحة للرأي قائلا : ((بهذه المعربات التي تلزم وجها واحدا يعلم فساد قول من جعل الاعراب تغييرا))[3] فضلا عن كونه فارقا بين المعاني العارضة من الفاعلية والمفعولية وغيرهما ، والفارق قد يعرب بالفعل أو بالحس ، والإعراب من قبيل ما يعرب بالحس أو بحاسة السمع بدليل انك اذا سمعت جملة معربة استطعت التمييز بين أركانها بألفاظ الحركات لا من طريق المعنى .

وهذا الوجه يكاد يتفق لفظا ومعنى مع ما حرره واختاره ابو البقاء العكبري في مسائل الخلاف[4]. وذهب الاعلم وجماعة من المغاربة الى ان الاعراب معنوي، ورجحه ابو حيان[5]، وهو راي شيخه ابن عصفور الذي عرفه في المقرب بقوله : ((تغيير اخر الكلمة العامل يدخل عليها لفظا أو تقديرا))[6].

والحركات والحروف دلائل على ذلك التغيير . وللجزولي وصاحب البسيط ضياء الدين بن العلج تعريفات مشابهة[7]، وجعله ابن اياز قول اكثر اهل العربية[8]. واستظهره ابن يعيش[9] وللفريقين أدلة كثيرة واعتراضات واجوبة متعددة ،ولكن لا داعي لإيرادها لان المسالة لا طائل تحتها وليس لها نتيجة عملية.

---

(٤) ينظر : شرح المفصل : ٧٢/١ .

(٥) نتائج التحصيل في شرح التسهيل : ٢٦٢/١ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٦٤/١ .

(٧) ينظر : مسائل خلافية في النحو : ١١٢ .

(٨) ينظر : همع الهوامع : ١٤/١ .

(٩) المقرب : ٤٧/١ .

(١) ينظر : نتائج التحصيل في شرح التسهيل : ٢٦٣/١ .

(٢) ينظر : الأشباه والنظائر : ٧٣/١ .

(٣) ينظر : شرح المفصل : ٧٢/١ .

ومن خلال ما تقدم من استعراض للمعاني اللغوية والاصطلاحية نجد الصلة بين الدلالتين واضحة ولذلك سمّي الاعراب اعرابا لتبيينه وإيضاحه ، فالإعراب يبين المعاني التركيبية للكلمات كما يبين الانسان ويعرب عما في نفسه ، وهذا ما يناسب التعريف اللفظي للإعراب اما على انه معنوي فيناسبه التغيير وان اختيار علماء العربية هذا المصطلح لهذه الظاهرة اللغوية له دلالة واضحة على إيمانهم بفائدة الإعراب النحوي في توضيح المعاني ، وإزالة اللبس ودفع الإبهام.

المعرب من الكلم وموقع الإعراب منه :

لما كانت فائدة الإعراب هي الإبانة عن المعاني المختلفة التي تعرض للكلمات حين استعماله في التراكيب كان الأصل في الأسماء ان تعرب باتفاق لأنّها تعتورها معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها مما يحتاج الى الإعراب في فهمه ، في حين ان الاصل والواقع في الحروف ان تبني باتفاق ، لانه لا يعتورها معان تحتاج الى الإبانة والإيضاح .

اما الافعال فحقها البناء-كذلك-الا الفعل المضارع فقد اتفقوا على اعرابه عند خلوه من نون النسوة ونون التوكيد المباشرتين ، ولكنهم اختلفوا في هذا الاعراب ، أهو بالأصالة

ام هو بالتبعية ، فذهب البصريون الى ان الفعل المضارع انما اعرب لمشابهته لاسم الفاعل وليس لدلالة على المعنى ، حيث يقع موقع اسم الفاعل فيكون خبرا وحالا وصفة وتدخل عليه لام الابتداء فضلا عن حركاته وسكناته ، ويقبل التخصيص بالمستقبل بالسين وسوف كما يقبل التخصيص باداة التعريف[١].

وذهب الكوفيون الى ان المضارع معرب بالأصالة بكونه تتعاوره معان متشابهة تحتاج في تمييزها الى اعراب ، في نحو : (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) وذلك بسبب اشتراك الحروف الداخلة عليه فيحتمل انه نهى عن الفصلين مطلقا أو عن الجمع بينهما أو النهي عن الأول واباحة الثاني ، فالجزم دليل الأول والنصب دليل الثاني والرفع دليل الثالث[٢].

ونحو : (ما بالله حاجة فيظلمُك) حيث يجوز ان تكون الفاء للسببية فينصب الفعل أو للعطف فيرفع الفعل [٣] اما ابن مالك فقد وافق البصريين في القول بأصالة الإعراب في الأسماء وخالفهم في التعليل حيث انه جعل إعراب الفعل بسبب دلالته على المعاني ايضا وجعل إعراب الاسم موجبا ولا يغني عنه سواه اما سبب إعراب الفعل فانه سبب مجوّز ، ويمكن الاستغناء عنه بوضع اسم بدله لذلك كان الإعراب في الأسماء أصلا وفي الأفعال فرعا[٤] غيران ابا البقاء العكبري مال الى راي البصريين وجعل اعراب المضارع لتمييز المعاني معاني حروف العطف وليس لتمييز معاني الفعل ، فإعراب الفعل لا يتوقف عليه معنى ، بل المعنى يحصل بالقرائن[٥]. ولكن أي معنى هذا الذي يحصل بالقرائن؟ فإن كان يريد المعنى لدلالي أو المعنى الصرفي للفعل فان ذلك ليس من مهمة الإعراب وإذا كان يريد ان الإعراب يوضح معاني حروف العطف وغيرها مما يدخل على الفعل المضارع فقد وضح معاني تكتنف الفعل وهذه مهمته الأساسية .

أما أبو حيان فرايه مفاده ان البحث عن أصالة الإعراب في المضارع من عدمها ليس فيه كبير منفعة[٦].

---

(١) ينظر : الكتاب :١ / ٤ . والمقتضب : ١/٢ . وشرح الرضي على الكافية : ١٧/٤ .

(٢) ينظر : نتائج التحصيل في شرح التسهيل : ٢٦٩/١ .

(٣) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ١٨/٤

(١) ينظر : نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل : ٢٧٠/١ .

(٢) ينظر : مسائل خلافية في النحو : ٩١ .

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٤١٤/١ .

موقع الإعراب من الكلمة :

إذا نظرنا الى الواقع اللغوي والى الكلمات المعربة نجد ان الإعراب يقع على الحرف الاخير من الكلمة أو ما في حكمه وهذه ظاهرة لغوية تواترت عن العرب ولكن حب التماس العلل دفع النحاة إلى التماس علة لهذه الظاهرة والبحث عن السبب في وقوعها اخر الكلمة دون وسطها أو أولها .

فقال بعضهم : ان الإعراب اتى به للدلالة على وظيفة الكلمة في التركيب وعليه فانه من الواجب التلفظ بالكلمة اولا حتى تعلم حقيقتها ثم ياتي بما يدل على حالتها ووضعها في الجملة[1].

وقال آخرون : انما وقع الإعراب اخر الكلمة لان أولها تلزمه الحركة بوصف الاول متحركا لان العرب لا تبدأ بساكن ولا يحوز اجتماع حركتين في حرف واحد ، فلما فات وقوعه أو لم يجعل وسطا لان الأوساط الكلمات مختلفة من ثلاثية ورباعية وخماسية .... الخ ، فلما فات ذلك جعل آخرا بعد كمال الاسم ببنائه وحركاته[2]، ومن مجموع الآراء نخلص

(١) ينظر : الإيضاح في علل النحو : ٧٦ ، ونتائج الفكر في النحو : ٨٢ .

(٢) ينظر : الإيضاح في علل النحو : ٧٦ .

الى ان موقع الإعراب لم يكن بعد عصر التدوين انما عرف عن العرب بالصيغة التي ألفها العربي منذ لاك لسانه لغة القرآن وبقيت بالصورة المثلى وتبقى ما بقي الليل والنهار بوصفها لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

علامات الإعراب :

استعمل العرب للدلالة على المعاني نوعين من العلامات الإعرابية :

أ. علامات أصلية :

وهي الحركات الثلاث : الضمة والفتحة والكسرة ، ثم السكون ، وقد اصطلح البصريون على تسمية انواع الاعراب بالرفع والنصب والجر والجزم،وعلى تسمية أنواع البناء بالضم والفتح والكسر والسكون أو الوقف ، وذلك للفرق بين العلامات الإعرابية المتغيرة والبنائية الثابتة[1] فوقعت الكفاية في التفريق بهذه الالفاظ واغنت عن ان يقول : ضمة حدثت بعامل أو فتحة أو كسرة حدثتا بعامل فكان في التسمية فائدة الإيجاز والاختصار[2].

اما الكوفيون فلم يلتزموا بهذه التفرقة و أطلقوا ألقاب الإعراب على البناء وبالعكس[3]. فالرفع والنصب للأسماء والأفعال ، والجر خاصة بالأسماء ، والجزم خاص بالافعال ، وقد علل سيبويه خلو الأسماء من الجزم بتمكنها ولحاق التنوين بها فلو جزمت لذهبت الحركة وترتب على ذلك ذهاب التنوين ، فيكون في ذلك إجحاف بالاسم[4]. كما علله بان ((الفعل اثقل من الاسم والحركة اثقل من السكون فاعطى الثقيل للخفيف والخفيف للثقيل

---

(١) ينظر : الكتاب : ١ / ٤ .

(٢) ينظر : شرح المفصل : ٧٢/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ينظر : الكتاب : ١٤/١ .

ليحصل التعادل))[1] وبذلك قال اكثر الكوفيين[2]. وقال آخرون : ((انما لم يدخل الجزم في الأسماء لان عوامل الجزم لا تدخل عليها ولا يصح بها معنى))[3] وهذا التعليل اكثر قربا من الواقع اللغوي و أدنى الى القبول بما سبقه . وبذلك يعلل لخلو الفعل المضارع من الخفض لان الخفض لو كان فيه انما يقوم بالإضافة اذ ليس هناك من عوامل الخفض ما يدخل على الفعل الا الإضافة ، والإضافة اما تكون للملك أو الاستحقاق والأفعال لا تمتلك شيئا ولا تستحقه فلا يكون فيها إضافة حقيقية واذا لم تكن فيها إضافة حقيقة لم يكن فيها خفض[4].

والإعراب بهذه العلامات الأصلية ظاهرة ومقدرة لا يشمل معظم الكلمات العربية كالاسماء المفردة المعربة صحيحة ومعتلة كجموع التكسير وجمع المؤنث في الرفع والجر وكالفعل المضارع المعرب صحيحا أو معتلا في غير الأمثلة الخمسة .

ب. علامات فرعية :

وهي تتكون من حروف وحركات وحذف تنوب عن العلامات الأصلية فالألف والوأو وثبوت النون تنوب عن الضمة ، والألف والياء ، والكسرة للنيابة عن الفتحة ، والفتحة والياء تنوبان عن الكسرة ، والحذف ينوب عن السكون ، ولكل من هذه العلامات مواضع مشتقات في كتب النحو .

وانما عد النحويون الحركات أصلا في الإعراب لأنها اقل واخف ، وبها يوصل الى الغرض ، فلم تكن هناك حاجة الى تكلف ما هو اثقل منها ، ولذلك كثرت في بابها وقدر غيرها بها ولم تقدر هي به[5]. ثم هي ابين في الدلالة على المعنى المقصود بالإعراب لظهور زيادتها على بنية الكلمات وعدم تدخلها في الدلالة على مفهومها بخلاف الحرف كالألف في المثنى و وأو الجمع فان لهما دخلا في الدلالة على مفهوم الكلمة اذ بسقوطهما يختل المفهوم

---

(٥) المصدر نفسه : ١/ ٢٠ .

(٦) ينظر: الإيضاح في علل النحو : ١٠٦ .

(٧) المصدر نفسه .

(١) ينظر : الإيضاح في علل النحو : ١٠٨ .

(٢) ينظر : شرح المفصل : ١/ ٥١ .

، والعلامة التي تختص بالدلالة على معنى لا تتعداه إلى غيره أقوى من علامة تشعر به مـــع دلالتها على شيء آخر[١].

ولا أدلة على ذلك من ان كثيرا مما يعرب بعلامات فرعية يرجع به الى الأصـــل فـــي كثير من الاحيان ، فالممنوع من الصرف يرجع الى الجر بالكسرة إذا أضيف أو اقتـــرن بــــ (ال) أو دعت الى ذلك ضرورة مناسبة ، والأسماء الخمسة تعـــرب بالحركـــات الظـــاهرة اذا جردت من الإضافة أو بالحركات المقدرة اذا أضيفت الى ياء المتكلم ، بل وهناك لغة تعربهـــا بالحروف مطلقا[٢] وكذلك (كلا وكلتا) اذا أضيفا الى اسم ظاهر ، وقد اجاز الكوفيـــون نصـــب جمع المؤنث السالم بالفتحة[٣]. فيرجع بذلك الى الاصل في النصب . من ذلك كله تبيّن لنـــا ان النحاة كانوا على حق عندما وصفوا بعض العلامات بالأصالة ووصـــفوا بعضـــها بالفرعيـــة، وفرقوا بين ألقاب الإعراب وألقاب البناء ، فكل ذلك يدل على دقة البحث ، وعمـــق التصـــور وسلامة الذوق ، لان فعلهم هذا يساعد على الفهم ويعين على التوضيح ، ويقرب الحقائق الى الأذهان مما يعد بحق ميزة تستحق الثناء ان يدعى الى إلغائهـــا والاســـتغناء عنهـــا أو عـــن بعضها كما وقع في بعض مشروعات التيسير للنحو في العصر الحديث[٤].

التنوين*: أنواعه ودلالته

---

(٣) ينظر : دراسات في العربية وتاريخها : ٢٤٧-٢٤٨ .

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢٧٢/٢ .

(٢) ينظر : الخصائص : ٣٠٤/٣ .

(٣) من يريد الاطلاع على تلك الآراء ينظر مجلة مجمع اللغة العربية ح٦ ١٩٨١ و ح١١ ١٩٥٩ ، مناهج تجديد في النحـــو والصرف والبلاغة : ٣٩ . وتاريخ الدعوة الى العامية في مصر : ١٩٧ .

* . هناك كتاب عنوانه ظاهرة التنوين في اللغة العربية للدكتور عوض المرسي جهاوي غير انه لم يفصل القول في العنوانات الـــتي مر بها البحث في مبحث التنوين.

تعريفه

هو في الأصل مصدر نونت الكلمة أي أدخلت عليها نونا[١] . وفي الاصطلاح : ((إلحاق آخر الكلمة نونا ساكنة تثبت في اللفظ دون الخط لغير توكيد فخرج نون "حسن" و " من " و " لم يكن" لأنها أصلية ، ونون "ضيفن" و "رعشن" لتحركها ، ونون "منكسر" و "انكسر" لأنها لم تلحق الآخر ، ونون نحو : "لنسفعَنْ" و "ليكونن" لأنّها للتوكيد))[٢]

وانما لم يجعل للتنوين صورة في الكتابة في حالتي الرفع والجر لان الكتابة مبنية على الوقف ، والتنوين يسقط في الوقف رفعا وجرا ويبقى في حالة النصب فيكتب الفا[٣].

أقسام التنوين :

للتنوين أقسام متعددة اوصلها بعضهم الى عشرة أقسام[٤]، والذي يعني البحث أربعة فقط لأنها اختصت بالاسم واشتهر استعمالها فيه لإفادة بعض المعاني وهي : تنوين التمكين، وتنوين التنكير ، وتنوين العوض ، وتنوين المقابلة ، وسيفصل البحث في الأنواع الأربعة . كما يأتي :

أولا : تنوين التمكين :

وهو اللاحق للأسماء المعربة المنصرفة إشعارا ببقائها على اصلها و أنّها لم تشبه الحرف فتبنى ولا الفعل فتمنع من الصرف ، فضلا عن كونها لم تدخل تلك العلامة على الفعل لعدم أصالته في الإعراب ، وكذلك الممنوع من الصرف لم تدخل عليه لشبهه بالفعل [٥] .

اذن التنوين هنا يدل على خفة الاسم وتمكنه في الإعراب وتركه علامة على ثقل الكلمة ومن ثم فلا يدخل الفعل ولا ما أشبهه ولا الحروف وما أشبهها من المبنيات ، وقد قال بهذا الرأي سيبويه وجمهور النحويين[٦].

أما السهيلي فقد سخر من هذا الرأي وانكر ان يكون شبه الاسم بالفعل مانعا من صرفه فقد يكون الاسم مضارعا للفعل لفظا ومعنى وعملا ورتبةً وهو مع ذلك يدخله الخفض

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة نون

(٢) شرح الرضي على الكافية : ٤٨٢/٤ والمغني : ٣٧٥/١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه .

(٤) ينظر: المصدر نفسه.غير ان الدكتور عوض المصري جعلها خمسة أقسام : ينظر كتاب ظاهرة التنوين في العربية: ١٠٧

(١) شرح الرضي على الكافية : ٤٥/١ .

(٢) ينظر : الكتاب : ٢٠/١ ، والإيضاح في علل النحو : ٩٧ ، وشرح المفصل : ٢٩/٩ .

والتنوين نحو ، ضارب ، فان فيه لفظ الفعل ومعناه ويعمل عمله وهو تال للاسم ووصف له[1].

ثم يقول : اما دعوى الثقل الناشئة عن العجمة أو التانيث أو الجمع و أنّها السبب في منع الصرف فغير مسلمة لاننا نجد من الالفاظ الثقيلة في الحس أو النفس ما ينصرف نحو فرزدق ومسحنكك ، ونحو همّ وغمّ وبلاء بينما تمنع الفاظ لطيفة حسا ومعنى نحو : زينب وسعاد وحسناء ... فهذا الثقيل منصرف وهذا الخفيف غير منصرف[2] . واذا كان كذلك فالمانع من الصرف صرف الاسماء استغنائها عن التنوين الذي هو علامة للانفصال واشعار بان الاسم غير مضاف الى ما بعده ولا متصل به ، فليس دخول التنوين والاسماء علامة للتمكن كما ظنه قوم ، فان العرب لا تريد أن تشعر المخاطب بتمكن اسم ولا تمكن معنى تحتاج الى بيانه[3].

والسهيلي مسبوق بهذا الرأي الذي تحمس له ودافع عنه بقوة فقد نقله الزجاجي في الإيضاح عن بعض الكوفيين[4] ثم نقله العكبري رافضا له بوصفه قولا باطلا من جهة ان المفرد مطلقا يصح السكوت عليه منونا وغير منون يقول : هذا محمد ، ومررت باحمد بخلاف المضاف فانه محتاج الى ما بعده فلا يصح السكوت عليه ، وكذلك فان الاسم الذي لا ينصرف يستعمل مفردا ولا ينون نحو : هذا احمد مقبلا ، وهذه مساجد عامرة ، فلو كان المفرد لا يفصل بينه وبين المضاف الا التنوين لزم ان لا يكون المفرد الا منونا[5] ويبعد ان يكون القائلون بهذا القول قد قصدوا ذلك ، ولكن اذا قلنا : ان التنوين علامة على انفصال الاسم بمعنى عدم اضافته الى ما بعده و أنّها علامة تطرد ولا تنعكس أي ان كل منون ليس مضافا الى ما بعده وليس كل خال من الاضافة منونا ، اذا قلنا ذلك يبقى هذا القول صحيحا لان عدم اجتماع التنوين والاضافة امر مسلم به حتى قال بعض الادباء في معنى التنافر :

كاني تنوين وانت اضافة فاين تراني لا تحل مكانيا[6]

---

(٣) أمالي السهيلي : ٢٠ .

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٢٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٥ .

(١) ينظر : الإيضاح في علل النحو : ٩٧ .

(٢) ينظر : مسائل خلافية في النحو : ١٢٢ .

(٣) ما شبه ابي النحاس على شرح الشيخ خالد الازهري للاجرومية : ١٥ .

وقال اخر :

حذفت وغير مثبت في مكانه كاني نون الجمع حين يضاف(١)

اما قوله (ولا متصل به) فنفي الاتصال كلية غير واضح لان الوصف المشتق من الفعل المتعدي والخالي من (ال) انما ينصب مفعوله اذا كان مبهم الزمن أي بمعنى الحال أو الاستقبال وذلك يلزمه التنوين نحو : (يا طالعًا جبلاً) و (اضاربٌ زيدٌ عمرًا) .

واعترض السهيلي بان شبه الفعل غير مانع من الصرف وتمثيله للمتشابه المنصرف بـ (ضارب) لا يلزم النحويين لانهم اشترطوا في الوصف ان يكون على وزن افعل غير مؤنث بالتاء وفي العلم ان يكون على وزن يخص الفعل أو يقلب فيه[٢] لان شبه الفعل وحده غير مانع من الصرف بل لا بد من ان تنضم اليه العلمية أو الوصفية بشروطهما .

ثانيا: تنوينُ التنكير :

وهو اللاحق لبعض الاسماء المبنية فرقا بين معرفتهما ونكرتهما ، وقد خصه جمهور النحويين باسم الفعل سماعا وبالعلم المختوم بـ (ويه) قياسا[٣] تقول اجتمعت بسيبويه وسيبويه اخر وكذلك نفطويه ، وتقول : صهّ و صهٍ ، ومهْ ومهٍ ، فاذا اردت النكرة نونت واذا اردت المعرفة لم تنون ، قال ذو الرّمة :

وقفْنَا وقلْنا ايهِ عن امّ سالم وما بالُ تكلِمِ الدّيارِ البلاقعِ(٤)

فقال ايه دون تنوين لانه اراد استزادة من حديث معيّن فكأنّه قال الاستزادة ، وقد صوب النحاة هذا الاستعمال علما مع أنّ الأصمعي أنكره [٥] اما تنوين نحو : رجل وفرس فقد قال ابن هشام : ((انه ليس للتنكير كما يتوهم بعض الطلبة بل هو للتمكين ولهذا لو سمّيت به رجلا بقي ذلك بعينه مع زوال التنكير))[٦].

---

(٤) خاص الخاص : ٦٨ .

(١) ينظر : التصريح على التوضيح : ٢/٢١٣-٢٢٠ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ١/٣٧٦ ، وشرح المفصل : ٩/٣٩ .

(٣) المقتضب : ٣/١٧٩ وديوانه : ٣٥٦ .

(٤) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣/٩٦ .

(٥) مغني اللبيب : ١/٣٧٦ .

وقال الرضي : ((وانا لا ارى مانعا من ان يكون التنوين واحداً للتمكين والتنكير معا ، فرب حرف واحد يفيد فائدتين كالالف والوأو في (مسلمان و مسلمون) _ فنقول : التنوين في ــ رجل ــ يفيد التنكير أيضا فإذا سميت به تمحض للتمكين)) [١].

ويمكن أن يقال : ان التنوين يدل على التنكير حين يدخل على ما ليس من شانه ان ينون كالمبنيات والممنوع من الصرف في بعض احواله ، أو حين يدخل على الاعلام الواقعة بعد الفاظ العموم كـ (رب ، و كل) نحو : ربّ زيدٍ لقيته ، ولكل فرعونٍ موسى ، لان رب من خواص النكرات ، (وكل) لا تضاف إلا إلى متعدد بحسب أنواعه أو أجزائه))[٢] وقد قال يصرف كل ما زال عنه التعرف و كان سببا لمنعه منه مع التركيب أو العجمة أو العدل أو وزن الفعل أو الف الالحاق أو التانيث بغير الالف أو زيادة الالف والنون ، نقول : رب معد يكربٍ وابراهيمٍ وعُمرٍ واحمدٍ وارطىً وفاطمةٍ وزينبٍ وعمرانٍ لقيتهم[٣] . فهذه الاسماء هنا قد رجعت الى اصلها في التنوين لزوال المانع منه . اما دلالة هذا التنوين على التنكير فليست قاطعة أو حتمية ، ولذلك نجد النحاة يستعينون على اظهار معنى التنكير في هذه الاسماء بالادوات الدالة عليه أو الموحية به كـ (كرب ، وكل) ولم يؤدوا ذلك بدليل سمعي ، والشواهد التي ورد فيها صرف ما لم ينصرف عللوها بالضرورة أو بمراعاة التناسب ، ولم يشيروا الى تغيير مدلولات تلك الاسماء المنونة من حيث التعريف والتنكير .

وهكذا فالتنوين يقترن بالنكرات كثيرا لانه ليس فيها-غالبا-ما يمنع منه، ولكنه ليس بإمكاننا ان نقول : ان كلّ منون نكرة ، ولا كل ما منع من التنوين معرفة ، بل هناك نكرات منعت التنوين ، وهناك معارف نونت ، ولكل أسباب ذكرها النحاة.

ومن هنا يبدو ان ما ذهب اليه ابراهيم مصطفى من : ((ان التنوين في المعرب اكثر دلالة على التنكير واوسع استعمالا وان حذفه أي ظاهرة على التعريف... وان الأصل في العلم الا ينون ولذلك في كل علم الا تنونه ، وانما يجوز ان تلحقه التنوين اذا كان فيه معنى التنكير وارادة الإشارة اليه))[٤]. يبدو ان ما ذهب اليه ابراهيم مصطفى غير صحيح لما فيه من

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٤٥/١ .

(٢) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢٥٧/٣ . ومغني اللبيب : ٢١٣/١ .

(٣) ينظر : شرح الاشموني : ٢٧٠/٣ .

(١) احياء النحو : ١٧٤- و ١٧٩ .

التعميم فهو لا يطرد ولا ينعكس،فليس كل منون نكرة ولا كل ما لم ينون معرفة ، صحيح ان العلم قد يدخل شيء من الابهام بسبب تعدد مسماه أو الاشتراك في مدلوله ، وان العرب شعروا بذلك فعرفوه بـ (ال) أو اضافوه ، بل اوجبوا تعريفه بـ (ال) عند زوال هذا التعريف بالتثنية أو الجمع[1] ولكنهم فرقوا بين النكرة والمعرفة في الوصل فلا توصف احدهما بالاخرى ، وما ادعى فيه ابراهيم مصطفى انه نكرة من الاعلام أو معرفة من الاوصاف لم يقع في كلام العرب اعتباره أو معاملته على حساب ما ادعاه فلا يجوز ان نقول : قام محمدٌ بطل ، وماتت عاتكة استاذةٌ ، بل لا بد ان نقول : قام محمدٌ البطلُ ، وماتت عاتكة الاستاذة .

ولو كان الاسم الخالي من التنوين معرفا لما جاز ان توصف به نكرة في قوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [2]، أو يوصف بالنكرة كما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [3] وايضا فان النكرة والمعرفة مختلفتان في الوضوح والابهام ولكن القرآن الكريم استعمل الاعلام منونة وغير منونة وهي على درجة واحدة من الوضوح والتحديد قال تعالى : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ [4]. وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [5]. جمعت ثمانية عشر علما من اعلام الانبياء بعضها منون ، وبعضها غير منون وهي على درجة واحدة من الوضوح والتحديد . ولو كانت الاعلام المنونة فيها معنى التنكير لكان ((محمدٌ رسول الله)) غير محدد المعنى وذلك واضح البطلان .

---

(٢) ينظر : الرضي على الكافية : ٣/٢٥٧ .

(٣) البقرة : ١٨٤ .

(٤) التوبة : ٢٥ .

(٥) الحج : ٤٢-٤٤ .

(١) الأنعام : ٨٣-٨٦ .

نعم : الاصل في التنوين ان يكون للتنكير ، وما أدخلوه في الأعلام فالمراعاة اصلها الذي نقلت عنه ، فالمرتجل والمعدود والاعجمي- الزائد على ثلاثة احرف ولم يستعمل في هذه اللغة الا علما – كل ذلك لا ينون ، وكذلك المنقول مما لا ينون نحو يزيد ويشكر واحمر وابيض وثلاث ورباع اذا سميت بها .

وانما ينون من الاعلام ما كان قبل التسمية به منونا نحو : اسد ونمر وسالم وغانم وزيد وعمرو وخالد ، يتركونه على اصله منونا لانهم وان نقلوه عما وضع له ففي انفسهم التفاتات الى تلك المعاني لانهم قد اعتادوا ان ينطقوا بتلك الاسماء مصادر واوصافا منونة ، فلما نقلت الى العلمية جرى اللسان بها منونة على حسب العادة ، ولا من نطق بهذه الالفاظ منونة عسر عليه ان يحترز من التنوين بعد النقل))(١) ولابن جني تعليل يجد فيه مسوغا مفاده انما نونوا الاعلام لمشابهتها للنكرات بخلوها من علامة تعريف ظاهرة كما صرفوا من الجمع ما ضارع الواحد ببنائه نحو : كلاب ، وشيوخ ، لأنّها ككتاب وخروج(٢). وهكذا التمس النحاة هذه التعليلات والأسباب لكل منون أو غير منون وبقيت الاعلام المنونة معارف والنكرات غير المنونة نكرات مسايرة للواقع اللغوي وحفاظا عليه واقتداء به دون تعسف في التاويل أو اغراق في الخيال .

ثالثا : تنوين العوض :

وهو اللاحق لبعض الأسماء عوضا إما لأنها حذف منها من حرف أو أُضيف إليها مفردا أو جملة ، فيكون عوضا عن حرف في نحو : جَوَارٍ وليالٍ فانه عوض من الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين بعد حذف حركتها حيث الكلمة نقصت بنيتها فجيء بالتنوين عوضا عما حذف منها ولولا ذلك لم تنون لأنها على صيغة منتهى الجموع وهي لا تنون في معرفة ولا نكرة ، ويكون عوضا عن مضاف اليه مفرد في كل وبعض اذا قطعتا عن الإضافة نحو قوله تعالى ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (٣)، ونحو ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

---

(٢) امالي السهيلي : ٢٨ .

(٣) ينظر : الخصائص : ٢٤٠/٣ .

(١) الفرقان : ٣٩ .

(١) ويكون عوضا عن جملة وذلك في-اذ-نحو ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ . وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ (٢). فحذفت الجملة المضاف اليها للعلم بها وجيء بالتنوين عوضا وكسرت الذال للساكنين(٣).

وقد نقد بعض المحدثين القول بتنوين العوض ولم ير له وجها ، ورأى ان الاوفق ان يقال : ((ان التنوين ياتي عند عدم وجود جملة تالية للكلمة : (حينئذٍ وبعدئذٍ) وسواها أو عند عدم وجود اسم بعد (كل وبعد))(٤).

وهذا عين ما قاله النحاة ، فالتنوين انما وجد عند عدم مجيء تلك الكلمات أو الجمل في المواضع المشار اليها وكلمة (تعويض) يمكن التنازل عنها وان كانت اصطلاحا وتقريبا الى الاذهان ثم يقول : ((واذا صح قول النحاة بالتعويض في الحالة الاولى فاني اراهم غير موفقين في القول بها في الحالة الثانية ، وذلك لان التنوين في (كل وبعض) ينبض (كذا) ان يكون تمكين ، واذا صح ان نقول : ان التنوين في لفظ (كل وبعض) للتعويض فلماذا لا نقول : ان التنوين في لفظ (كتاب) كذلك حيث ينون عند عدم الإضافة ويمنع من التنوين معها))(٥).

والقول بان التنوين في (كل وبعض) للتمكين مما قال به النحويون حيث رجحه ابن يعيش ، وحكاه ابن هشام وحققه الاشموني(٦) وحيث ان تنوين (كل وبعض) معاقب لإضافة لازمة لا يصح المعنى دون مراعاتها فلا غرابة في تسميته تنوين عوض لان المضاف اليه وان لم يلفظ به مقصود فلا بد من وجود دليل عليه اذا حذف بخلاف ما اعترض به تنوين (كتاب) وانه معاقب للاضافة لان تلك الإضافة غير لازمة فاذا قطع عنها ونون لم يكن هناك مضاف اليه يراعى لا لفظا ولا معنى.

ثم يتحدث عبد الرحمن ايوب عن التعويض في نحو : (جوار وغواش) ويرفض هذا التلفيق التافه-على حد تعبيره-ويقول : ((كان من الممكن للنحاة ان يقولوا : ان التغيير الذي حدث في (جوارٍ وغواشٍ) قد خرج بها عن صيغة منتهى الجموع فنونت))(٧). وهذا القول هو

---

(٢) الاسراء : ٢١ .

(٣) الواقعة : ٨٣ ــ ٨٤

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ٣٧٦-٣٧٧ .

(٥) دراسات نقدية في النحو العربي : ١٧ .

(١) دراسات نقدية في النحو العربي : ١٧ .

(٢) ينظر : شرح المفصل : ٣١/٩ ، ومعنى اللبيب : ٣٧٧/١ ، وشرح الاشموني : ٣٦/١ .

(٣) دراسات نقدية في النحو العربي : ١٨ .

هو للنحاة ايضا فقد نقله ابن هشام في المغني عن الاخفش واعترض عليه بان الحرف هنا عارض والمحذوف منوي بدليل ان اخر الكلمة بعد الحذف لم يحرك بحسب العوامل[١] في القراءات المتواترة وفي الشائع من كلام العرب.

رابعا : تنوين المقابلة :

ويكون في جمع المؤنث السالم مقابلا للنون في جمع المذكر السالم التي هي في مقابلة تنوين المفرد وانما سمي تنوين مقابلة لانه لو كان للتمكين لم يدخل في ما يستحق المنع من الصرف نحو (عرفات) ولو كان للتنكير لم يدخل في الاعلام ، وليس هو عوضا عن مضاف اليه ولا للترنم ، فلم يبق الا ان يقال : هو في جمع المؤنث في مقابلة النون في جمع المذكر لان هذا معنى مناسب ، والتناظر بينهما ثابت من وجه اخر حيث حملوا النصب على الجر في جمع المؤنث كما في جمع المذكر فالنون في جمع المذكر قائمة مقام التنوين الذي في المفرد في المعنى الجامع لأقسام التنوين وهو كونه علامة لتمام الاسم وليس في النون معنى من معاني التنوين الأخرى فكذلك التنوين الذي في جمع المؤنث علامة لتمام الاسم فقط وليس فيه معنى آخر من معاني التنوين . وذهب جار الله الزمخشري الى التنوين في جمع المؤنث تنوين صرف وتمكين وليس للمقابلة عندما ذكر أقسام التنوين[٢] لانه في رايه تنوين تمكين واعتذر عن وجوده في قوله تعالى : ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ [٣] بضعف التأنيث حيث ان تاء التأنيث الحقيقية قد سقطت وهذه التاء للجمع ، وهي مع ذلك تمنع من تقدير تاء اخر لاختصاصها بجمع المؤنث[٤].

---

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ١/٣٧٧ .

(١) ينظر : شرح المفصل : ٩/٣٤ .

(٢) البقرة : ١٩٨ .

(٣) ينظر : الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل : ١/٣٤٨ .

وادعاء الزمخشري ضعف التأنيث هنا معارض بان العرب تعاملها معاملة المؤنث فتعيد الضمير عليها مؤنثا فيما نقله عنهم سيبويه من قولهم : ((هذه عرفات مباركا فيها))[1] واعترض عليه ابن المنير بانه يلزمه اذا سمى امراة بمسلمات ان لا يصرفه وهو قول رديء[2]. اما الرضي فقد وافق الزمخشري في القول بان هذا التنوين تنوين تمكين وعلل بقاءه فيما سمي به من هذا الجمع بانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط واصبح الكسر تابعا للنصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع . وايضا فان حذف التنوين مما سمي به في بعض اللغات دليل على ان تنوينه قبل التسمية تنوين صرف كما روي في قول امرئ القيس :

تَنورتها من اذراعاتِ وأهلُها   بيثربَ أدنى دارَها نظَرٌ عالي (٣)

بالكسر دون تنوين[4] ((لان بعض العرب يشبه التاء بهاء التانيث ويشبه الالف قبلها بالفتحة فيمنعه من الصرف ويقول : (هذه قرشيات) علماً لمؤنث بلا تنوين))[5] وكما قال الاعشى :

تخيرها اخو عاناتَ شهراً   ورجّى أوْلَها عاما فعاما(٦)

بالفتح من غير تنوين .

ومع كل ما استدل به الزمخشري والرضي لتأييد رأييهما تبقى تسمية هذا التنوين تنوين مقابله اقرب الى الفهم لثبوته في العلم المؤنث (عرفات) بالتواتر ، حيث ان (عرفات) مؤنثة في استعمال العرب كما ذكر سيبويه ، ومعرفة بدليل عدم جواز دخول (ال) عليها فهي علم على مواضع متعدّدة ومتلازمة نُزّلت منزلة الشيء الواحد لما بانين وعما يتين لجبلين متقابلين من الجبال العربية ، وكذا جماديان للشهرين المعروفين ، وايضا فان سيبويه قد سمع اكثر العرب ينونون (اذرعات) في بيت امرئ القيس المتقدم[7].

---

(٤) الكتاب : ٣/٢٣٣ .

(٥) الانتصاف من الكشاف بهامشه في الموضع السابق : ١/٣٤٨ .

(١) ديوانه : ٣١ .

(٢) شرح الرضي على الكافية : ١/٤٧ .

(٣) الكتاب : ٣/٢٣٤ .

(٤) ديوانه : ٢٤٧ .

(٥) ينظر : الكتاب : ٣/٢٣٤ .

ومع ان بعض النحويين قد قالوا : ان التنوين في جمع المؤنث للتمكين جاء بعض المحدثين ليعيب عليهم جميعا تسميتهم لهذا التنوين تنوين المقابلة ويقول : ((أنّها افتراض لا مسوغ له)) ثم يتساءل : لماذا يتحتم وجود نون في صيغة جمع المذكر لوجود تنوين في صيغة المفرد؟ ولماذا لا توجد هذه النون في جموع الكثرة؟ ويتهم النحاة بانهم سموه تنوين مقابلة هربا من التناقض لان مفرد هذا الجمع لا ينون غالبا وقولهم بمقابلة النون في الجمع للتنوين في المفرد يقتضي ان يكون المفرد منونا دائما ، وليس كذلك فقد يكون ممنوعا من الصرف كما لو جمعت احمد على احمدون(1).

وهذه التأولات فيها كثير من المغالطة والتجاهل لاقوال النحاة وقواعدهم فوجدوا النون في جمع المذكر ضروري لبنيه لانه انما سمي سالما لسلامة بنيه المفرد فيه من التغير والحذف ومن لوازم بنية المفرد الذي يجمع هذا الجمع : التنوين لدلالته على معنى فيه من امكنية أو تمام أو انفصال حسبما تقدم . ومن هنا لم توجد تلك النون في جموع التكسير لتغيير بنية المفرد فيها بالنقص أو بالزيادة أو بهما معا ولقبول كثير من صيغة للتنوين وذلك عند شبهها بصيغة المفردات اما قوله بان مفرد هذا الجمع لا ينون في بعض احواله فذاك صحيح غير انه اذا كان المانع له من الصرف العلمية مع سبب اخر فان العلمية تزول عنه عند ارادة الجمع كما تقدم ويصبح قابلا للتنوين وكذلك في غيرها ما لم يمنع من ذلك مانع لفظي كالف التأنيث .

هذه هي اشهر انواع التنوين واهم معانيه ، وقد تبين لنا من دراستها ان النحويين القدامى كانوا اقرب الى الصواب في استشفاف المعاني من الظواهر اللغوية وفي تسميتها بأسماء مناسبة لوظيفتها ودلالتها ، وان كثيرا من المحدثين الذين يهاجمون النحويين انما يهاجمونهم بآرائهم ، ويخاصمونهم بحججهم أو يغالطون في عرض آرائهم فيظهرون ما يريدون ويخفون ما لا يريدون ، حتى تظهر اراء النحويين مبتورة ومضطربة فيتسنى لهم انتقادها والتشهير بها .

دلالة علامات الاعراب عند قدماء النحويين : (*)

---

(1) دراسات نقدية في النحو العربي : ١٦ .

* درست الباحثة بتول قاسم ناصر (دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء) في رسالتها للماجستير .

لا أكون مبالغا اذا قلت : ان دلالة علامات الإعراب على المعاني الوظيفية للكلمات هي اساس النحو وعليها انبنى هيكله وقامت دعائمه وامتدت اغصانه وفروعه فقد مر بنا في الفصل الاول ان ظهور اللحن وانحراف الالسنة عن النطق السليم لعلامات الاعراب كان اهم اسباب نشأة النحو الذي اريد به تعويد السليقة اللغوية للحفاظ على ظاهرة الاعراب لما لها من اهمية في تمييز المعاني وازالة اللبس ، ولذلك كان العرب يستنكرون اللحن بعامة وكانوا ((اشد استنكار لزيغ الاعراب منهم لخلاف اللغة))(١) وهذا يدل على ايمانهم بقيمته وتمسكهم ببقائه لاهميته . ولا يقتصر هذا الشعور على من سموا فيما بعد بعلماء العربية أو النحو بل انه شعور عام لدى جميع الفصحاء من العرب ، ويتجلى ذلك عند سماعهم اللحن ومخالفة النطق الصحيح حيث يؤدي ذلك الى سوء التفاهم بين المتخاطبين في كثير من الاحيان .

وقد تقدم موقف ابي الاسود الدؤلي عندما سمع ابنته تقول (ما اشد الحرُّ) و (ما اجمل السماءُ) ، بضم اشد واجمل . وفتح الحر والسماء ، ففهم منها الاستفهام وهي تريد التعجب مما دعاه الى البحث عن حل لهذه المشكلة . كما استطاع احد الشعراء وهو شبيب ابن يزيد الخارجي ان ينقذ نفسه من تهمة سياسية بتغيير حركة اعرابية عندما خاطبه عبد الملك بن مروان : ألست القائل :

ومنّا سُوَيدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ   ومنّا اميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال : انما قلت : (ومنّا اميرَ المؤمنين) فالنصب على معنى النداء أي يا أمير المؤمنين ، فامر بتخليته(٢).

وهناك حادثة اخرى جرت بين أدبيين ولغويين مشهورين هما : عبد الملك بن قريب الأصمعي ومحمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي حيث كان الثاني مؤدبا لبعض بني كلاب يقول فيها واصفا نفسه :

سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة   وانعم ابكار الهموم وعونها

برفع (ليلة) فحكم الاصمعي بخطأ ابن الاعرابي في هذه الرواية وقال : ان (ليلة) منصوب على الظرفية والفعل مسند الى ابكار الهموم وعونها ثم قال : ان من لا يحسم فهم هذا المعنى

---

(١) الخصائص : ٢/٢٦ .

(٢) عيون الاخبار : ٢/١٥٥ .

لا يصلح لتاديب النشا فكان ابن الاعرابي يحقد عليه لذلك[1]. ففهم الاصمعي يدل على اسناد الفعل الى (ليلة) اذا كانت مرفوعة وذلك غير صحيح ، لان المعنى لم يكن واضحا ولان الارق انما يتعلق بانواع الهموم والليل ظرف لذلك التعليق.

واذا نظرنا في كتاب سيبويه ومعاني القرآن للفراء وهما اقدم ما وصل الينا في موضعيهما من الكتب وجدناهما حافلين بكثير من التحليلات اللغوية المبنية على تغيير العلامة الاعرابية وملاحظة ما يطرأ بتغييرها من تغيير المعنى [2] .

اما الكسائي فلعله أوضح مثل يدل على عده لدلالة علامات الاعراب على معنى : تلك الفتوة التي املاها على ابي يوسف عندما ساله هارون الرشيد عن حكم الطلاق في الابيات الاتية :

فان ترفقي يا هند فالرفق ايمن   وان تخرقي يا هند فالخرق اشامُ
فانت طلاق والطلاق عزيمة   ثلاث ومن يخرق اعق واظلم
فبيني بها ان كنت غير رفيقة   فما لا مرئ بعد ثلاث مقدم(٣)

فاجاب بانه اذا رفع (ثلاثا) طلقت واحدة واذا نصبها تطلق ثلاثا وللعلماء في استخراج الحكم الشرعي من هذه الآيات نقاش طويل واراء متعددة[4] . ولكن الذي يهمنا هو ان الكسائي كان يرى ان للعلامة الإعرابية اثرا في تحديد المعنى وهذه المسالة هي صورة من صور المجالس والمناقشات العلمية والأدبية التي كانت تدور في ذلك العصر وهي تقوم – في معظمها – على استخلاص الفروق الدقيقة للتراكيب الغوية، وللعلامات الاعرابية حظ كبير في ذلك حقا انهم لم يخصصوا الهذه الدلالة بابا: أو يعقدوا لها فصلا أو يفردوها بحديث وربما كان ذلك لأن الامر مسلم به بينهم :اولأن التأليف مازال في بدء نهضته فلم يتناول مثل هذه الامور الدقيقة ،: ما بعد ذلك فقد ورد الحديث عنها مفصلا ومستقلا واضحا[5] وما يظهر اجماع النحاة على هذه الدلالة اجماعا يكاد يكون تاما وفي مختلف العصور ورأي قطرب في

---

(١) ينظر : الخصائص : ٣/٣٠٦-٣٠٧ . والضواحي : ما ظهر منه وبدا .

(٢)ينظر:الكتاب:١/٧٩ ، ٨٨ و ٢/٦٥-٦٦، و٣/٥٣ ، ومعاني القرآن للفراء : ١/٧٦ و ٣٠٢ و ٣/١٢٣.

(٣) وردت هذه الابيات في كثير من كتب النحو دون نسبة ينظر شرح المفصل : ١/١٢-١٣ ، والمغني : ١/٥٤ والخزانة ٣/٤٥٩: .

(١) ينظر : تفصيل ذلك في الخزانة في الموضع السابق ، وشرح ابيات مغني اللبيب : ١/٣٢٤ .

(٢) ينظر : تأويل مشكل غريب القرآن : ١٤، والإيضاح في علل النحو : ٦٩، والخصائص : ١/٣٥ ، والصاحبي ٧٧ و ١٩٠، وشرح المفصل : ١/٧٢_٧٣، والمرتجل في شرح كتاب الجمل : ٢١٣ ٠٠٠٠الخ .

انكار هذه الدلالة من قبيل النادر الذي لا يستحق ذكرا ولكن الامانة العلمية حملتهم على ان يحتفظوا له برأيه .

فقد أجمع النحاة على دلالة العلامات الاعرابية على المعاني التركيبية من اسناد ومفعوليه واضافة ، ولكنهم اختلفوا في المفاضلة بين الفاعل والمبتدأ في استحقاق الرفع فذهب الخليل وكثير من النحاة الى ان الفاعل هو المستحق للرفع اصالة لانه هو الذي يخشى التباسه بالمفعول فيحتاج الى علامة تفرق بينهما ، والأصل في الأعراب للتفريق بين المعاني بخلاف المبتدأ والخبر فرفعهما للاستحسان وللتشبيه بالفاعل من حيث الإسناد وافتقارهما الى ما يكمل معناهما ، وأيضا فان عامل الرفع في الفاعل لفظي وهو أقوى من العامل المعنوي[1].

في حين ذهب سيبويه وابن السراج الى ان المبتدأ هو الأصل في الرفع وغيره من المرفوعات محمول عليه لانه مبدوء به وانه لا يزول عن الابتداء وان تاخر والفاعل تزول فاعليته اذا تقدم وانه عامل ومعمول ، والفاعل لاغير[2] ، يقول سيبويه : ((واعلم ان الاسم اول احواله الابتداء ، وأنما يدخل الناصب والرافع-سوى الابتداء-والجار على الابتداء ، فالابتداء أول جزء كما كان الواحد أول العدد ، والنكرة قبل المعرفة))[3].

وهكذا وبعد هذه الجولة الموسعة في كتب النحاة الأقدمين في مختلف عصورهم يتضح لنا ان تغيير اخر الكلمة لتغيير المعاني المتداولة عليها لا يخلوا كتاب من كتب النحاة المتأخرين بوصفها تعريفا للإعراب ، وهذا دون ادنى ريب ما جاء من فراغ انما جاء نتيجة لاستقراء كتب الأقدمين و آرائهم ، وسنستعين بهذه الكتب لاختيار مجموعة من الشواهد والاساليب اللغوية البليغة .

انما تظهر الحاجة الى الإعراب في الأساليب التي يجتمع فيها اسمان أو اكثر مع صلاحية كل منهما أو واحد منها لتعلق الوصف به ، واكثر ما يظهر ذلك في باب الفاعل والمفعول وفي باب العطف عندما يتعدد ما يحتمل العطف عليه أو عندما يكون لاداة العطف معان لا يتعين أحدها الا بعلامات الإعراب : كذالك قد يفرق لعلامات الإعراب بما يراد الابتداء والخبر وما يراد به غيرهما من وصف أو حال أو تمييز أو مفعول مطلق ، وفي تعيين

---

(٣) ينظر : شرح المفصل : ٧٣/١ وهمع الهوامع : ٩٣/١ .

(١) ينظر : همع الهوامع : ٩٣/١ .

(٢) الكتاب : ٢٣/١-٢٤ .

موصوف الصفة اذا تعدد قبلها ما يصلح ان يكون موصوفا واختلف إعرابه ، وفي التفريق بين المضاف اليه و غيره وأحواله الكلمات التي تحتمل الوصفية والنداء أو الوصفية والاستثناء وغير ذلك . وسيعرض البحث جملة من النصوص والشواهد توضح ما طرح وتبرهن عليه .

بين الفاعل والمفعول :

لا شك ان مجال الفرق بين الفاعل والمفعول هو اهم مجال تبدو فيه اهمية علامات الاعراب حتى ان كثيرا من العلماء بل اكثرهم جعل الاصل في الرفع للفاعل والاصل في النصب للمفعول وحمل عليهما بقية المرفوعات والمنصوبات لنوع من المشابهة والاستحسان .

وكذلك فان الجملة الخبرية المكونة من فعل وفاعل ومفعول كثيرة الدوران على السنة الناس في الاغراض العامة والخاصة بخلاف اساليب العطف والاستثناء والحال والبدل و الاغراء والتحذير والاختصاص فانما تجري في الغالب على السنة الخاصة في المجالات العلمية والأدبية .

قرأ السبعة غير ابن كثير قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [(١)]. برفع كلمة "آدم" ونصب كلمة ((كلمات))[(٢)] وهي قراءة واضحة المعنى لان اسناد التلقي الى آدم لا إشكال فيه ، اما قراءة ابن كثير التي وافقه فيها ابن مُحَيصِن [(٣)] بنصب كلمة آدم ورفع كلمة كلمات فقيل : ان التلقي بمعنى المجيء فكانه قال : جاءت آدم كلمات ولم يؤنث الفعل للفعل وللتأنيث المجازي في الفاعل أو ان التلقي يكون بين الطرفين أي اينما تلقاك فقد تلقيته وما

---

(١) البقرة : ٣٧ .

(٢) ينظر : السبعة في القراءات : ١٥٣ .

(٣) ينظر : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر : ١٣٤ .

نالك فقد نلته وهذا يسميه النحويون المشاركة في الفعل[1] . ومعنى تلقي آدم للكلمات قبولها والعمل بها ، ومعنى تلقي الكلمات لآدم : مجيئها له واتصالها به بصور مجازية .

ومثلها قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2] فجملة (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ شبيهة بالآية السابقة في انما نالك فقد نلته فتكون كلمة العهد فاعلا وكلمة الظالمين مفعولا كما في قراءة الجمهور ، ويجوز العكس كما في قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ)[3] اما "واذا ابتلى إبراهيم ربه" فهي في قراءة الجمهور بنصب كلمة إبراهيم ورفع كلمة ربه وهو المناسب لان الاختبار انما يكون من الله للعبد ، ولا يكون من العبد لله . اما قراءة ابن عباس وأبي الشعثاء وابي حنيفة (إبراهيم ربه) فهي بعيدة المعنى ، وتلك القراءات اضطرت المفسرين الى التاويل فقالوا : المعنى : دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر ايجيبه اليها ام لا ؟ [4].

وهكذا يتضح ان اختلاف الحركات أو العلامات يترتب عليه تغيير في المعنى كما يلاحظ ان قراءة الجمهور أو قراءة الغالبية تكون دائما أوضح في المعنى واقرب في الفهم الى حقائق اللغة ، ولو تأملنا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[5] وهي القراءات اللائقة معنى ودلالة وقد اجمع الجمهور عليها في حين رويت قراءة اخرى برفع كلمة لفظ الجلالة ونصب كلمة العلماء[6] ومما لا شك في أنّها قراءة شاذة الشواذ كله نسبت الى عمر بن عبد العزيز ﷺ وحكيت عن ابي حنيفة[7] (رحمه الله) وهذه القراءات دعت المفسرين الى الى التمحل بجعل الخشية استعارة يراد بها الاجلال والتعظم[8] ولذلك عَدَّ ابن الجزري هذه

---

(٤) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٧٥ .

(٥) البقرة : ١٢٤ .

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء: ١/٧٦ .

(٢) ينظر : الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ١/١٧٠ .

(٣) فاطر : ٢٨ .

(٤) ينظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : ٣٦٢ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٣/٦٣٣ .

(٦) المصدر نفسه .

القراءات شاذة و أنّها راجت عند المفسرين وان ابا حنيفة برئ منها[1]. وهكذا فتغيير العلامة الإعرابية في الأسماء الواقعة بعد الأفعال المتعدية يؤدي الى تغيير في المعنى بتغيير الإسناد فيجعل الفعل واقعا من المرفوع تقدم أو تأخر ، فضلا عن ان القراءات تتفق جميعا في رفع الفاعل ونصب المفعول عندما يمتنع عكس الاسناد كما في قوله تعالى : ﴿عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [2] وقوله ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [3] و ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [4] و و ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [5] الى غير ذلك .

ومما يظهر فيه اثر العلامة الاعرابية في تحديد المعنى قول امرئ القيس :

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة كفاني ، ولم اطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثَّل أمثال (٦)

فكلمة قليل سبقت بفعلين كفى واطلب والاول يطلب فاعلا والثاني يطلب مفعولا وتجيء كلمة القليل مرفوعة ادركنا أنّها فاعل للفعل كفى وبهذا يصح المعنى ولو نصبت كلمة قليل لصارت مفعولا للفعل اطلب وبهذا يفسد المعنى لانه كان يطلب الملك[7] ، وكذلك قول الحارث بن كلدة :[8]

وما أدري أغيرَّهم تناءٍ وطولُ العهدِ أم مالٌ أصابوا

فكلمة مال لا بد من ان تكون مرفوعة وما بعدها صفة لها ولا سبيل الى نصبها كما قال سيبويه[9]. وان كانت كلمة مال منصوبة لصارت مفعولا وصارت كلمة (أم) منقطعة بمعنى بل بل وهو غير مناسب لسياق الابيات لان الشاعر يستفهم عن سبب التغيير حقيقة فتكون ام

---

(٧) النشر في القراءات العشر : ١٦/١ .
(١)طه : ١٢١ .
(٢) الحجر : ٨٠ .
(٣) مريم : ٩٦ .
(٤) الحج : ٥٢ .
(٥) الديوان ١٦٧ ، وينظر المغني : ٢٥٦ .
(٦) ينظر : الكتاب : ٧٩/١ ، الخزانة : ١٥٨/١
(٧) ديوانه : ٨٩ ، ينظر : الكتاب : ٨٨/١ ، تحصيل عين الذهب : ١٠١
(٨) ينظر: الكتاب : ٨٨/١

كلمة متصلة لوقوعها في سياق استفهام حقيقي[١]. وهذه أغراض لا يسهل تمييزها وإيضاحها وإيضاحها الا بعلامات الاعراب .

بين المبتدأ والخبر وغيرهما :

قال الله في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [٢] قرأها معظم القراء برفع كلمة بالغ منونة ونصب كلمة امره الا الا حفصا عن عاصم فانه قرأ بحذف التنوين واضافة كلمة بالغ الى ما بعدها[٣] وجميع القراء القراء جعلوا كلمة بالغ خبرا لـــ(ان) بمعنى ان الله–سبحانه وتعالى–لايفوته مطلوب ولا يعجزه مراد فبلوغ الامر والقدرة عليه من صفات الله.وقرأ بالتنوين مع رفع كلمة امره[٤] على على جعل البلوغ من صفات الامر ، أي ان امر الله نافذ الى غايته لا يرده راد ولا يعوقه معوق ، ويكون ما بعدها مستانفا لبيان مقتضى التوكل[٥]. كما قرأ (بالغا امره) بجعلها حالا والجملة بعده خب بمعنى ان الله سبحانه وتعالى–ومن شأن امره النفاذ–قد جعل لكل شيء قدرا[٦]. ومما لاشك فيه ان هذه الفروق الدقيقة في المعنى لا يمكن الوصول اليها بغير الاعراب.

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [٧] قرأت كلمة جزاء بالرفع والاضافة كما قرات بالنصب والتنوين وكلتاهما سبعية[٨] فقراءة الرفع على جعل الكلمة مبتدأ مؤخرا ، والحسنى : قد تكون وصفا لموصوف محذوف تقديره الفعلة الحسنى ــ وهي كلمة التوحيد ــ وقيل : الحسنى : الجنة واضافة الجزاء اليها

---

(١) ينظر : شرح ابيات سيبويه : ٢٤٢/١ .

(٢) الطلاق : ٣ .

(٣) ينظر : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر : ٤١٨ .

(٤) ينظر : مختصر في الشواذ والقراءات : ١٥٨ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٤١٥/٤ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) الكهف : ٨٨ .

(٨) ينظر : السبعة في القراءات : ٣٩٨–٣٩٩ .

من باب اضافة الشيء الى نفسه لاختلاف اللفظيين والنصب على الحال فله الحسنى مجزيا بها ، فهو مصدر
في موضع الحال على التقديم والتاخير[1] ، وهكذا ترددت كلمة جزاء بين الابتداء والحال وكونها حالا أقوى واسرع في الدلالة على البشارة في كل خير . وقوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾[2] قرأ الكسائي ــ وحده ــ من السبعة (لَتَزُولُ) برفع الفعل وجعل اللام الداخلة عليه هي اللام الفارقة بين المخففة من الثقيلة والنافية ، أي وان مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات ولكنه مع ذلك لا ينفعهم في معارضة الاسلام وهذا من باب المبالغة على حد قول الاعشى:

لئن كنت في جب ثمانين قامة　　　ورقيت اسباب السماء بسلم
لستدر جَنْك القول حتى تُهَّره　　　وتعلم اني لست عنك بملجم(٣)

وقرأ الباقون (لِتَزُولَ) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، وقرا بقية السبعة (لتزول) بلام الجحود ونصب الفعل وعد (ان) نافية وهو الموافق لما روى عن ابن مسعود : (وما كان مكرهم لتزول منه الجبال)[4] فهاتان قراءتان تهول إحداهما من شان مكر الكفار وتصفه بالشدة وتغض الاخرى من شانه وهذا التنوع في المعنى لا شك ــ من تنوع العلامة الإعرابية ولا تناقض بين القراءتين في المعنى لان الجبال في القراءة الاولى تحمل على حقيقتها وفي الثانية على المجاز أي دعائم الاسلام واركانه[5]ومثله قول ابي النجم العجلي :

قد اصبحت ام الخيار تدعي　　　عليّ ذنبا كله لم أصنَع(٦)

فقد روي البيت برفع كلمة كلّه ، وحكم سيبويه على الرفع بالضعف ، لعدم ذكر

---

(١) حجة القراءات : ٤٣٠ .
(٢) ابراهيم : ٤٦ .
(٣) ديوانه : ١٧٣ والبيت من شواهد الكتاب : ٢٨/١ .
(٤) ينظر : السبعة في القراءات : ٣٦٣ ، الكشاف : ٥٤٧/٢-٥٤٨ .
(١) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٥٠/١ .
(٢) البيت من شواهد الكتاب : ٨٥/١ ، المغني ٢٠٥ ، الخزانة ١٧٣/١

رابطة لجملة الخبر ، ولتهيئة العامل للعمل وقطعه عنه[1]، ويبدو ان سيبويه ، عندما رجح النصب هنا ، لم ينظر الى المعنى ، وانما نظر الى حذف العائد من جملة الخبر وهو قليل ، ولكنه صحيح لوروده في قراءة ابن عامر[2] لقوله تعالى ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [3].

ورواية الرفع في البيت هي الرواية الجيدة ورواية النصب لا تصح لأنّها تفيد سلب العموم وهو خلاف المقصود ، يقول ابن هشام ((وقد صرح الشلوبين وابن مالك بانه لا فرق في المعنى بين رفع (كل) ونصبه))[4] بيد انه رجح الرفع[5]. أي انه امر وجود فرق بينهما .

.

واخيرا نورد مثالا مختصرا يردده الناس كثيرا في التأسي والتسليم وتفويض الامر الى الله كما في قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [6] وذلك على لسان يعقوب عليه السلام ، حيث قرأ الجمهور بالرفع (فصبر) من باب الاخبار عن صبر حاصل أو سيحصل عند فقد يوسف عليه السلام أو مبتدأ خبره محذوف أي فصبر جميل امثل لانه عزّى نفسه ولو امرهم بالصبر لكان النصب اسهل ولذلك قرأ عيسى بن عمر (فصبراً جميلاً)[7] بالنصب على انه مفعول مطلق نائب عن فعله ويكون الكلام من باب الانشاء فيصير كلام لنفسه ومنه قطري بن الفجاءة

فصبرا في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع [8]

في مجال العطف :

اسلوب العطف هو–ايضا–من اكثر الأساليب انتشارا واحتياجا الى العلامة الإعرابية ، لانه يشمل جميع الابواب النحوية فقد يعطف على الفاعل أو المفعول أو المبتدا أو الخبر أو على غيرها من المنصوبات والمجرورات وقد تكون اداة العطف على اصل معناها وقد يراد

---

(٣) الكتاب : ١/٨٥ .

(٤) ينظر : السبعة في القراءات : ٦٢٥ .

(٥) الحديد : ١٠ .

(٦) مغني اللبيب : ١/٢٢١ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) يوسف : ١٨ .

(١) مختصر في شواذ القراءات :٦٣ . ومعاني القرآن للفراء : ٢/٥٤ .

(٢) امالي المرتضى : ١/٦٣٦ .

بها المعيّة أو السببية أو الحالية أو الاستئناف ، ولذلك امثلة وشواهد كثيرة من القرآن الكريم وغيره وسنقتصر منها على ما يأتي رغبة في الايجاز .

قال تعالى : ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [١] فقد اختلف القراء في (وَأَرْجُلَكُمْ) بين النصب والخفض فقرأ ابن نافع والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب وقرا الباقون بالخفض[٢] وتبعا لاختلاف الفقهاء من الصحابة وغيرهم في حكم الرجلين في الوضوء بين المسح والغسل فقال ابن عباس وقتادة وعكرمة والشعبي : ((نزل القرآن بالمسح وجاءت السنة بالغسل))[٣]، فالنصب يوجب العطف على الوجه واليدين ودخل بينهما مسح الراس لبيان الترتيب لا ليشتركا في صفة التطهير ، وجاء الخفض ليبين ان الرجلين يمسحان حال الاختيار على حائل وهما الخفان بخلاف سائر الاعضاء فعطف بالنصب مغسولا على مغسول ، وعطف بالخفض ممسوحا على ممسوح وهكذا نجد هذه الاية دليلا قويا على تاثير الحركة الاعرابية في المعنى ومن الامثلة ايضا قوله تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [٤]. لا شك ان قراءتها بالجر صورة من صور اللحن الذي دعا اصحاب الغيرة من المسلمين الى التفكير في وضع قواعد للنطق السليم. اما ما روي من ان النحاة خلقوا قصة اللحن في هذه الاية وامثالها فيعد تعسفا .

من ذلك ايضا ما مثل به سيبويه من قوله : تقول ((زيد لقيت اباه وعمرا ان زعمت انك لقيت عمرا والاب ، وان زعمت انك لقيت ابا عمرو ولم تلقه رفعت ، ومثل ذلك : (زيد لقيته وعمرا)) ان شئت رفعت وان شات قلت ((زيدا لقيته وعمرا))[٥]. وهكذا يتضح لنا من كل هذه الاساليب ارتباط العلامة الاعرابية بالمعنى وان اتحادها بين المتعاطفات دليل على اشتراكها في حكم ما واختلافهما بعكس ذلك.

---

(٣) المائدة : ٦ .

(٤) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢/٢٥٤ ، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر : ١٩٨ .

(٥) احكام القرآن : ٥٧٥ .

(١) التوبة : ٣ .

(٢) الكتاب : ٩١/١ .

في مجال الإضافة :

هناك أساليب تحتمل الإضافة وتحتمل غيرها ولكل من الحالتين معنى ، ومن ذلك قولك : انا فاعل ذلك ، وانا فاعل ذلك ، فعند إضافة اسم الفاعل الى ما بعده يكون على معنى الإقرار والإخبار بشيء مضى ، وعند تنوين اسم الفاعل ونصب ما بعده يكون على معنى الاخبار بما ستفعله في المستقبل . ولا يعد اقرارا يوجب حكما . وكذلك قولك : محمد اكرم ابًا ومحمد اكرم اب . فاذا أضفت افعل التفضيل الى ما بعده كان ذلك تفضيلا لمحمد بانه اكرم الاباء . واذا قطعته عن الإضافة ونصبت ما بعده على التمييز كان معنى ذلك ان اباه افضل من غيره فعند اذن يكون التفصيل لابي محمد وليس لمحمد كما في حالة الإضافة . وفي قولك : كتابُ جميلٍ في البيت . وكتابٌ جميلٌ في البيت ، يحتمل إضافة كتاب الى ما بعده في حالة كون جميل اسم شخص ، ويحتمل الوصفية اذا قطعت الإضافة والعلامة الإعرابية توضح ذلك .

ومثل ذلك كثير كما في قوله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [1] بإضافة درجات الى ما بعدها فتكون الدرجات هي المرفوعة قرأت بالتنوين مقطوعة عن الإضافة على التقديم والتأخير فتكون (من نشاء) هي المرفوعة أي نرفع من نشاء درجات فتكون درجات على هذا تمييزا أو مفعولا ثانيا والقراءتان سبعيتان[2] ومثلهما قوله تعالى : ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [4] حيث قرأ اغلب القراء بإضافة كل ما بعدها في الآيتين، واثنين مفعول للفعل ومن كل زوجين محله النصب على الحال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما قدم عليها نصب على الحال[5]. وقرأ بتنوين كل وحذف المضاف اليه لان كلا وبعضا يقتضيان مضافا اليهما وزوجين عندئذ تكون مفعولا به و (اثنين) توكيداً له .

---

(١) الأنعام : ٨٣ ، يوسف : ٧٦ .

(٢) ينظر : السبعة في القراءات : ٢٦١ .

(٣) هود : ٤٠ .

(٤) المؤمنون : ٢٧ .

(٥) ينظر : املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في القرآن : ٣٨/٢ .

في مجال الوصف :

قد يتعدد ما يصلح ان يكون منعوتا عليه تحار في إرجاع النعت الى أي منها ومنه قوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [1] والقراءتان سبعيتان[2] فالرفع على انه صفة للولاية أي الولاية الحقيقية لله والحق مصدر فيصح ان يوصف به المؤنث مع لزومه الافراد والتذكير ، وقراءة الجر على جعله صفة للفظ الجلالة[3]. وقوله تعالى : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [4] والقراءتان سبعيتان[5] فالرفع على انه نعت للثياب والخفض على انه نعت لسندس .

وهنالك أساليب تحتمل بعض كلماتها الوصفية وغيرها كما في قوله تعالى :﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [6] فقد فقد قرأت كلمة غير بالرفع والنصب وهما سبعيتان[7] وقرأت بالخفض وعدت هذه القراءات من الشواذ فالرفع بوصفها نعتا لــ (القاعدون) والنصب على الاستثناء اما قراءة الخفض فعلى أنّها صفة للمؤمنين[8] ويصح الوصف بغير هنا مع توغله في الإيهام والتنكير نظرا لما في الموصوف من العموم لكونه صلة لــ (ال).

في مجال الحال :

قد تشبه الحال بالخبر لان كلاً منهما وصف لصاحبه في المعنى ، غير أن الخبر يقصد به مجرد إثبات النسبة الى المخبر عنه ، اما الحال فهي قيد لاثبات النسبة وربما لا يصح الحكم عند فقدان ذلك القيد ، ولا سيما عند الموازنة بين حالين لشيء واحد ، فقولك : (بكم ثوبك مصبوغا) و (بكم ثوبك مصبوغ) ، فالنصب على الحال ، اي كم يساوي الثوب في تلك الحال ، وبالرفع على الخبر ، أي بكم صبغ الثوب فثوب : مبتدأ ومصبوغ خبره وبكم جار

---

(٦) الكهف : ٤٤ .

(٧) ينظر : السبعة في القراءات : ٣٩٢ .

(١) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٢٥٥ .

(٢) الانسان : ٢١ .

(٣) ينظر : السبعة في القراءات : ٦٦٤-٦٦٥ .

(٤) النساء : ٩٥ .

(٥) ينظر : السبعة في القراءات : ٢٣٧ .

(٦) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن : ١٩١/١ .

ومجرور متعلق بالخبر[١] واذا قلت : ((هذا بُسراً اطيب منه رطبا)) في الموازنة بين حالين لشيء واحد لان هناك نوعا من البلح بُسْرُهُ اطيب من رُطَبِهِ ، ولو رفعت الحالين لاختلف المعنى واصبحا خبرين عن شيئين مختلفين وهذا بسرٌ ، وهناك رطب اطيب منه .

ومما يحتمل الوجهين في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [٢] فقد قرأ السبعة غير حفص بالرفع على الخبر وقرأ حفص عن عاصم بالنصب على الحال[٣]. ووما يحتمل الوجهين والحال فيه اشهر قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [٤]. قرأ الجمهور بالنصب على الحال ، وقرأ ابن مسعود بالرفع على أنه خبر بعد خبر ، أو خبر لمبتدأ محذوف[٥].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [٦] بالنصب في قراءة الجمهور الجمهور على الحال ، وعن الحسن : (امة واحدة) بالرفع فيها على أنها خبران لـ (هذه)[٧].
(هذه)[٧].

في مجال الاستثناء:

من المعروف ان الاستثناء هو اخراج الاسم الواقع بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبله اثباتا ونفيا ، ومن حكم المستثنى وجوب النصب اذا كان الكلام تاما موجبا ، لان (الا) في تقدير (استثنى) واذا استعملت غير في الاستثناء فأنها تأخذ حكم الاسم الواقع بعد الا ، فاذا اقر شخص وقال : (لفلان عندي عشرة الا درهما أو غير درهم بنصب غير فقد اقر بتسعة

---

(٧) ينظر : المصدر نفسه .

(١) المعارج ١٥ ــ ١٦ .

(٢) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن : ٢٦٢/١ .

(٣) هود : ٧٢ .

(٤) مختصر الشواذ : ٦٠ .

(٥) الأنبياء : ٩٢ .

(٦) ينظر : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : ٣١٢ .

دراهم ، واذا قال الا درهم أو غير درهم ، أي ان المعنى حين اذن عشرة موصوفة بأنّها غير درهم)[١]. كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [٢].

اما لو قال : (له علي مائة الا درهما ، أو غير درهم) فانــه يكــون مقــرا بتســعة وتسعين درهما لانه استثنى والاستثناء إخراج ، فالعلامة الإعرابية لهــا توضــيح الحقــوق وتحديد الواجبات .

في مجال الطلبية :

والمقصود هنا هو (لا واللام) ، فانهما يستعملان للطلب كالنهي والامــر والــدعاء والالتماس والنصح والارشاد ، وقد يستعملان للخبر كالنفي والتعليل ولا يفرق بين المعنين الا بعلامات الاعراب ولا سيما عندما يكون الكلام مكتوبا لان هذين الحرفين اذا استعملا للطلــب كان ما بعدهما مجزوما نحو قوله تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [٣]،﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [٤] و ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [٥] وفي اللام نحو ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [٦] ونحو ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [٧] اما اذا استعملا في غير الطلب فلا يجزم ما ما بعدهما وتكون لا نافية وما بعدها مرفوع ، نحو قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [٨] و﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [٩].

[٩].

---

(١) المغنى اللبيب : ١/٧٤-٧٥ .

(٢) الأنبياء : ٢٢ .

(٣) لقمان: ١٣ .

(٤) لقمان : ١٨ .

(٥) البقرة : ٢٨٦ .

(٦) الطلاق : ٧ .

(٧) الزخرف : ٧٧ .

(٨) الأنبياء : ١٠٢-١٠٣ .

(١) الدخان : ٥٦ .

ويكون ما بعد اللام في غير الطلب منصوبا بان مضمرة ، أو بـــاللام نفســه نحو قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [1] وهناك نصوص في القـــرآن الكريم ورد فيها استعمال (لا واللام) في معنييهما الطلبي وغير الطلبي بمعنى ان بعض القراء قرأها بالجزم وبعضهم قرأها بغير ذلك وترتب على فرق الاعراب فرق المعنى[2].

ان هذه القراءات المختلفة واهتمام علماء القراءات المسلمين بها وتدوينها والاحتجاج لها واستنباط الأحكام منها ليبرهن على ان دلالة علامات الإعراب على المعاني التركيبية امر مسلم به عندهم ومعترف به بينهم ، وبهذا تكون علامات الإعــراب قــرائن تبــين المعــاني والدلالات عليها .

رأي اللغويين المحدثين في هذه اللغة :

سار معظم المحدثين على درب أسلافهم في القول بأهمية علامات الإعراب والــدعوة الى الحفاظ عليها وبذل الجهد في إتقان استعمالها ، ورأوا في ذلك كله حفاظــا علـــى تراثنـــا الديني والقومي ، وربطاً لأبناء المسلمين بمصدر الهداية الأبدي المنزل بلسان عربي مبين الا وهو القرآن الكريم المصدر الاول للتشريع في الإسلام ومن بعده السنة التي جاءت تبيانا لـــه ثم كتب التفسير والفقه والتاريخ والأدب وغير ذلك من الفنون والعلوم التي دونت بهذه اللغــة وصارت عصار فكر هذه الأمة على مدى خمسة عشر قرنا أو تزيد .

ومن ثم جاءت الدعوة الى إلغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات _ ومن جهة النظــر هذه _ تعد تفريطا في ذلك كله وهدما لكيان هذه اللغة وطريقاً الى ضياعها وتشتتها ، ولكــن بعض المحدثين ذهب الى انكار هذه الأهمية ورأى ان علامات الإعراب ليس لها دلالـــة ، ولا تعدو أن تكون وسيلة لتيسير النطق وتسهيل وصل الكلمات بعضها ببعض ومن ثم فلا داعـــي للحرص عليها أو الالتزام بها بل يجب التخلص منها ومن عنائها ومشقة مراعاتها !!

وفيما يأتي نبذة مختصرة عن كل من هذين الاتجاهين :

---

(٢) النحل : ٤٤ .

(٣) الفتح : ٢٥ ، البقرة : ١١٩ ، ٢٣٣ ، آل عمران : ٢٨ ، المائدة : ١٠٦، الإسراء : ٣٣ ، وينظر : مختصر الشواذ : ٧ ، ٩ ، والسبعة في القراءات: ١٨٣ ، ومعجم القراءات القرآنية: ١٩/٢ و ٤٨٤ ، وإملاء ما من به الرحمن : ٩١/٢ .

المؤيدون لدلالة العلامات الإعرابية على المعنى :

كتب في هذا الموضوع كثيرون تبعا لما تناولناه من دعوة إلى إصلاح النحو لتيسير العربية أو دراسة خصائصها أو الرد على بعض الدعوات المنكرة لفائدة الإعراب أو الداعية الى إلغائه ، أو الدعوة الى استعمال العامية بدلا من الفصحى ، ولعل أوسع ما كتب في هذا الموضوع ما جاء به صاحب كتاب إحياء النحو إذ جاء في مقدمته : ((والعربية لغة القصد والإيجاز تلتزم حركات الإعراب على غير فائدة في المعنى ولا اثر في تصويره))[1].

ثم ادعى أنه توصل إلى اكتشاف دلالة لحركات الإعراب ، وقد تبين لنا مما تقدم ان هذا الادعاء لا أساس له من الصحة ، لان القول بهذه الدلالة أمر قديم ارتبط بنشأة النحو وتطوره ورافقه في جميع مراحله حتى اصبح من الموروث والجديد في هذا الاكتشاف هو سلبه لدلالة الفتحة وقيمتها ، حيث جعلها علماء النحو علما للفضلة بعامة .

ومن المؤيدين لدلالة العلامات الإعرابية على المعاني التركيبية صاحب كتاب (اللغة والنحو بين القديم والحديث) حيث انتقد الدعوة الى ترك الإعراب وبين ما يترتب عليها من اضرار ولبس وغموض[2] وكذلك صاحب كتاب ((من قضايا اللغة والنحو)) حيث أسهب في الحديث عن الإعراب والمعنى ورد على الداعين الى الغائه[3]، اما محمد احمد عرفه فقد خصص كتابه النحو والنحاة بين الازهر والجامعة للرّد على إبراهيم مصطفى[4] وكذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه فقه اللغة حيث عد الإعراب من خصائص العربية[5] اما العقاد فله أثر كبير في الدفاع عن الاعراب وبيان قيمته وأهميته من ذلك انه ردّ على ابراهيم أنيس في دعواه بعدم دلالة العلامات الإعرابية وجعل الحركة مهمة كالحرف[6] ، وكذلك (الدكتور رمضان عبد التواب) ردّ بقوة على معارضي العلامات الإعرابية[7]، اما تمام حسان فهو يؤيد القول بهذه الدلالة ولكنه يركز على ان النحاة قد بالغوا في الاهتمام بقرينه العلامة الإعرابية

---

(١) احياء النحو : المقدمة هـ – ز .

(٢) ينظر : اللغة والنحو بين القديم والحديث : ٢٦٢ .

(١) ينظر : من قضايا اللغة والنحو : ٤ – ٢٦ .

(٢) ينظر : النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة .

(٣) ينظر : فقه اللغة : ٢٠٤–٢١٠ .

(٤) ينظر : الكتاب والناس : ٣٤٧ .

(٥) قضية الإعراب بين أيدي الدارسين : ١٠٢–١٠٩ .

مع أنّها لا تؤدي دورها الا إلا التظافر مع بقية القرائن اللفظية والمعنوية[١] وكـذلك الأستاذ محمد عبد القادر المبارك في كتابه (فقه اللغة وخصائص العربية)[٢]. والأستاذ مازن المبارك في كتابه (نحو وعي لغوي)[٣] والدكتور صبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقه اللغة)[٤] والدكتور مهدي المخزومي في كتابيه (مدرسة الكوفة)[٥] و (في النحو العربي نقد وتوجيه)[٦] وتوجيه)[٦] و الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (فقه اللغة المقارن)[٧] والدكتور فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو)[٨] والدكتور رشيد العبيدي في كتابه (العربية والبحث اللغوي المعاصر)[٩] فالقول بهذه الدلالة هو السائد والكثير الغالب بين العلماء المحدثين بحيث بحيث لا يمكن حصرهم أو الإحاطة بأسمائهم وما هؤلاء الذين ذكرتهم الا أمثلة قليلة لمن ظهرت آراؤهم وانتشرت مؤلفاتهم .

المنكرون لهذه الدلالة :

تتفاوت اراء هذه المجموعة في تصورها لاصل الاعراب ودلالته فقد يقولون انه لا امل له في العربية وانما ابتكرت بعض ظواهره تقليدا للغات اخرى لها قواعد نحوية ، وقد يعترفون بوجوده وأصالته وينكرون دلالته وفائدته في الكلام كليا أو جزئيا ، ويعدونه سببا لصعوبة اللغة العربية وتأخرها المزعوم يدعو كثير منهم الى الغائه والتخلص منه بتسكين اواخر الكلمات المعربة بالحركات والزام المعرب بالحروف احد اوضاعه .

وقد بدأت الحملة ضد الإعراب منذ أوائل القرن المنصرم عندما قال قاسم امين عبارته المشهورة : ((ان الاوربي يقرأ لكي يفهم اما نحن فنفهم لكي نقرأ) أو ما معناه ذلك ودعا الى

---

(٦) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٥-٢٠٧ .

(٧) فقه اللغة وخصائص العربية ٢٤١-٢٥٥ .

(٨) نحو وعي لغوي ٧٢-١٠٧ .

(٩) دراسات في فقه اللغة ١١٧-١٤٠ .

(١٠) مدرسة الكوفة ٢٥٠ .

(١١) في النحو العربي نقد وتوجيه ٦٧ .

(١٢) فقه اللغة المقارن ١١٧-١٢٤ .

(١٣) معاني النحو بأجزائه الأربعة .

(١) العربية والبحث اللغوي المعاصر ١٩ .

إلغاء الأعراب وتسكين أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك[1].وهذا راي جميع دعاة العامية كلطفي السيد وسلامة موسى والخوري ومارون غصن واسكندر المعلوف وسعيد عقل وانيس فريحة[2] الذي صرح قائلا : ((ان الإعراب لا يتلاءم والحضارة وانه بقي من البداوة ، وانه زخرف لا قيمة له)) [3] .

غير ان هذه الشطحات _ لا شك _ كانت انفعالية بشكل كبير يبدو فيها سوء النية فضلا عن كونها لم تنطل على احد ، وكان من السهل فضحها والقضاء عليها، في حين كانت هناك محاولات اخرى اكثر ذكاء وعمقا حيث جعلت البحث العلمي ستارا لها لنشر أفكارها والوصول الى أهدافها ، وفي مقدمة هذه المحاولات الذكية محاولات إبراهيم أنيس في كتابه (من اسرار اللغة) حيث جعل الإعراب قصة نسج النحاة خيوطها من ظواهر لغوية متعددة وحاكوا تفاصيلها و ألزموا الناس بنتائجها [4] ثم اخذ يشكك في اصالة الاعراب في العربية وفي كونه قديما فيها وعاب على المستشرقين رأيهم القائل : ان العربية في احتفاظها بالإعراب بوصفها ظاهرة قديمة من ظواهر السامية الاولى ، اذ كيف الاعراب قديما وعاما في اللغات السامية ثم تتجرد منه جميعها ولا يبقى الا في العربية وكيف تختص به العربية وتفقده لهجاتها الحديثة التي تطورت عنها[5] فضلا عن كونه عدّ الاعراب بالحروف تلفيقيا[6] وسيناقش البحث جميع المسائل التي طرحها إبراهيم انيس واصحابه المنكرون لظاهرة الإعراب ، وقد انكر فؤاد حنا طرزي دلالة الحركات على معنى على الرغم من انه اقرب الى النحويين واكثر اعتدالا من ابراهيم انيس، إذ يرى أن هذه الحركات انما وجدت في الأصل لغرض لفظي هو تيسر ارتباط الألفاظ بعضها بعض ثم افيد منها في التمييز بين المعاني الملتبسة[7] أما الإعراب بالحروف فقد وافق إبراهيم أنيس في انه حل تلفيقي من لهجات

---

(٢) ينظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : ٣٧٢/٢ .

(٣) ينظر : اللغة العربية بين حماتها وخصومها : ٨٨-٨٩ .

(٤) نحو عربية ميسّرة : ١٢٣ .

(١) من اسرار اللغة : ١٨٣ .

(٢) ينظر : من اسرار اللغة : ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٢ .

(٤) ينظر : في سبيل تيسير العربية وتحديثها : ٩٢-٩٣ .

مختلفة[١] ويسير داود عبد في الاتجاه نفسه[٢] بيد ان الجنيدي خليفة كان أقسى المنكرين أسلوبا وسخرية من قواعد اللغة العربية وتراثها فقد وصف الاعراب بالخراب [٣] وجعل من يتعلمه على الطريقة المعروفة احمقا[٤] على الرغم من كونه يعترف بان الإعراب يحدد المعنى المعنى . فهذه الآراء فيها الكثير من المغالطة والتجاهل لاقوال النحويين وقواعدهم وأصولهم فضلا عن تجاهلها لتاريخ هذه اللغة وخصائصها . وسيناقش البحث هذه الآراء والرد على هذه الشبهات واستجلاء وجه الحقيقة من بين هذه الاتجاهات في الفصل الأخير بعون الله تعالى .

---

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٩٣–٩٩ .

(٦) ينظر : ابحاث في العربية : ١٠٠–١٢٨ .

(٧) ينظر : نحو عربية أفضل : ٦٨ .

(٨) ينظر : المصدر نفسه : ٧٧ .

الفَصلُ الثّالثُ

واقع الإعراب بين القدماء والمحدثين

* مناقشة آراء المنكرين لأهمية الإعراب .
* دعوى ابتكار النحويين لظاهرة الاعراب كليا او جزئيا .
* دعوى دلالة خلو اللهجات العامية من الاعراب على عدم وجوده في العربية الاولى .
* دعوى اقتباس الاعراب واخطاءه من اللغات الاخرى .
* فهم الكلام غير المعرب ودعوى دلالته على ابطال مدلول علامات الاعراب .
* دعوى دلالة بعض الظواهر اللغوية على إبطال مدلول علامات الاعراب كالوقف والتقاء الساكنين .
* نظام الجملة وسياق الكلام لا يغنيان عن الاعراب .

دعوى ابتكار النحويين لظاهرة الإعراب كليا أو جزئيا :

حين استعرضنا موقف المحدثين من اهمية الاعراب ودلالته وجدنا بعضهم يشكك في وجود الاعراب في العربية ، ويستبعد احتفاظها به دون غيرها من اللغات السامية ، ودون ان تحتفظ به لهجاته العامية المتفرعة عنها ، ويعتقد تبعا لذلك ان النحويين قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب وقاسوا بعض اصوله رغبة منهم في الوصول الى قواعد مّطردة منسجمة [١] ، ويعتمد بعضهم على الظن والتخمين فيقول : ((وحسب ان العربية لم تكن في اصلها الأول بالمعربة أو هي – على الأقل – لم تكن تلتزم الاعراب وقواعده بصورة مطلقة))[٢]. وهذا يفهم منه ان كثيراً من احكام النحو والاعراب هي من صنع النحاة وابتكارهم . وهو قول بعض المستشرقين ايضا حيث ذهب بعضهم من امثال (مارسل كوهين) في كتابه (لغات العالم) الى أنّ قواعد الإعراب لم تكن مراعاة الا في لغة الاداب شعرها ونثرها ، اما لهجات الحديث فكانت منذ اقدم عصورها غير معربة أو لم يكن لقواعد الاعراب فيها ما كان لها في لغة الاداب من شأن مستدلا بصعوبة تلك الاحكام وخلو اللهجات الحديثة منها[٣]. بل ذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فزعم ان هذه القواعد لم تكن مراعاة في لهجات الحديث العادي ، ولا في لغة الكتابة ، وانما خلقها النحاة قاصدين بذلك تزويد اللغة العربية بنظم شبيهة بنظم الاغريقية لانهم يستبعدون ان تكون هذه الظاهرة قد نشأت من تلقاء نفسها ويستكثرون على العقلية العربية في العصور الأولى ان تتوصل الى الالتزام بمثل تلك القوانين الدقيقة[٤].

واعجب من ذلك ان يذهب آخر الى أنّ لهجة مكة كانت خالية من الاعراب وان القرآن الكريم نزل في أو ل امره بهذه اللهجة الخالية من الاعراب ثم نقحه العلماء على ما ارتضوه من قواعد ومقاييس[٥] وهذه الاراء النافية لوجود الاعراب في العربية جزئيا أو كليا التي تتهم النحاة بوضع قوانينه وابتكارها هي اراء وافتراضات ليس لها سند تاريخي أو

---

(١) ينظر : من اسرار اللغة : ٢٠٣ .

(٢) نحو عربية افضل : ٧١–٧٢ .

(٣) ينظر : فقه اللغة : ٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(١) ينظر : دراسات فقه اللغة : ١٢٢ .

منطق عقلي ، لان النحاة لم يكن بمقدورهم ابتكار مثل تلك القواعد بوصفها محاولة لا يتصورها العقل ولم يحدث لها نظير في التاريخ ، فضلا عن كون قواعد اللغة ليست من الامور التي تخترع أو تفرض على الناس بل تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج [١]، وفي التاريخ الحديث شاهد على ذلك حيث فشلت اكثر من اربعين محاولة لخلق لغة عالمية موحدة تحل محل لغات العالم أو تكون ثانية لها[٢] لانه ليس من السهل على مجموعة من العلماء ان يفرضوا بعض الظواهر اللغوية على عامة الناس ويجبروهم على الالتزام بها لان طرائق النطق وسبل الحديث لا يمكن تغييرها بسهولة ويسر فالاعتزاز باللغة وظواهرها امر طبيعي في النفوس ، وحتى في حالات الهجرة أو الغزو لا يتخلى الناس عن ظواهر لغتهم الا بعد مرحلة من الصراع تختلف قوتًا وضعفا باختلاف اطرافها ، وهذا اذا كان الامر يتعلق بلغة قومية فحسب ، فكيف بلغة وثيقة الارتباط بالدين كاللغة العربية .

ولو كان الامر يتعلق بابتكار ظاهرة تؤدي الى السهولة والتخفيف من القيود لكان من الممكن القول بميل الناس اليها والاخذ بها رغبة في الراحة واليسر ، ولكن الامر ينطوي على الزام الناس بقواعد لغتهم وقيودها وليس ذلك بالامر الهين ، فالاعراب ظاهرة اساسية في هذه اللغة والذين يدرسون هذه الظاهرة ويدعون الناس الى الحفاظ عليها انما يكتسبون قوتهم من اصالتها واعتراف الناس بها .

واذا سلّمنا جدلا بامكان تواطؤا علماء النحو جميعا على ابتكار الاعراب وخلقه من العدم فانه ليس من الممكن التسليم بان علماء عصرهم قد تواطئوا معهم على ان لا يذكر واحد منهم شيئا عن هذا الاختراع العجيب[٣] . بل التاريخ يثبت عكس ذلك وهو ان أولئك العلماء كانوا جميعا من المتحمسين للعربية والمحافظة عليها كما جاء بها القرآن الكريم ، وكانوا يحرصون على استنباط قواعدهم واستخراج قوانينهم اللغوية من النصوص والشواهد العربية الموثوق بصحتها ، ومن افواه ابناء القبائل المعروفة فصاحتها وسلامة السليقة بينهم ، والبعيدة عن كل تأثير اجنبي . وكان لقدم الناس اثر في تفضيله اثر على ما سواه،فقد كان متقدمو النحويين يفضلون الشعر الجاهلي على الشعر الاسلامي حتى ((قال الاصمعي : جلست

---

(٢) ينظر : فقه اللغة : ٢٠٧ .

(٣) ينظر : نحو عربية ميسرة : ١٧٤ .

(١) ينظر : فقه اللغة : ٢٠٨ .

الى ابي عمرو بن العلاء-ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي ، وسال عن المولـــدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ما كان من قبيح فهو من عندهم))[١]، ولذلك بين ابـــن رشيق المسألة بقوله : ((هذا مذهب ابي عمروا واصحابه : كالاصـــمعي وابـــن الاعرابـــي ــ اعني ان كل واحد منهم يذهب في اهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم - ولـــيس ذلـــك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي بـــه المولـــدون))[٢]، ويقـــول البغدادي : ((وقد كان ابو عمرو بن العلاء وعبد الله بن ابي اسحاق والحسن البصري ، وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمـــة واضـــرابهم ، وكـــانوا يعـــدونهم مـــن المولودين لانهم كانوا في عصرهم والمعاصرة حجاب))[٣] افلا يدل ذلك كله على نزعة علماء اللغة والنحو واتجاههم في المحافظة على اللغة وظواهرها في المفردات والاساليب على نحو ما كانت وقت نزول القرآن الكريم وقبله ، وانهم كانوا يعدون كل تجديد أو خروج على تلك الانماط التعبيرية لحنا يجب محاربته والقضاء عليه؟ واذا كان الامر كذلك كيف يفكر منصـــف أو عاقل في اتهامهم بابتكار شيء من ظواهر اللغة أو قواعدها؟ لقد كان جهدهم منصـــبا على سماع هذه اللغة ومشافهة اهلها ممن بقوا على اصالتهم ، ولم يتـــاثروا فـــي مخالطـــة الأعاجم أو لين الحضارة ، بل لقد كان هؤلاء البدو هم الحكم الفصل عند اختلاف العلماء في حكم لغوي كما حدث في المسألة الزنبورية بين سيبويه و الكسائي ، ومسالة (ليس الطيب الا المسك) بين عيسى بن عمر وابي عمرو بن علاء[٤] فترى احد الخصمين يخضع ويســـتكين ويسلّم بما يقولون ، ولو كان امر النحو اختراعا أو ابتكارا لم يكن لهؤلاء البدو ميـــزان أو قيمة . وما يدل على فساد الرأي رأي ابتكار النحو ان التصرف الاعرابي قد وجد في العربيـــة البائدة-عربية النقوش-وفي غيرها من اللغات السامية[٥] وقانون حمورابي المدون في القرن الثامن عشر ق . م وجد فيه الاعراب مماثلا لما في العربية الفصحى من رفع الفاعل ونصـــب

---

(٢) العمدة : ١/٩٠-٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ٩١/١ .

(٤) خزانة الادب : ٦/١ .

(١) ينظر : امالي الزجاجي : ٢٤٠-٢٤٢هـــ ، ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ٩٣/١ والمزهر في علوم اللغة : ٢٧٧/٢-٢٧٨ .

(٢) ينظر : تاريخ اللغات السامية ولفنسون : ٢٧٨ .

المفعول وجر المضاف اليه بالحركات وبالحروف كما في العربية[١] فضلا عن الحجة الدامغة الا وهي ورود القرآن الكريم الينا معربا بالتواتر حيث ان المسلمين مجمعون على أن القرآن الكريم ورد الينا متواترا بمادته وصورته بالفاظه وهيأة ادائه من حركة ومدّ وادغام وتخفيف وتسهيل ، لان اللفظ لا يقوم الا به ولايصح الا بوجوده [٢] وبناء على ذلك يكون رأي (كارل فولرز) متهافتا بوصفه قائما على افتراضات واهية حينما زعم ان لهجة قريش تخلو من الاعراب وان علماء النحو هم الذين اعربوا القرآن ولم يقم ذلك الافتراض على دليل قط وقد اصاب (نولدكة) حينما فند تلك الافتراضات والمزاعم قائلا : ((انه لو كان النبي أو احد معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون اعراب لكان من غير الممكن ان تضيع الروايات الخاصة بذلك ولا يبقى لها اثر[٣] كما انه يفترض ان النحاة تصرفوا في النص القرآني وصاغوه حسب قواعدهم مع ان الاجماع قد انعقد على ان القرآن أو شق النصوص التي يحتج بها على صحة قواعد الاعراب أَفَيَعْرِبُهُ النحاة بحسب قواعدهم الموضوعة ثم يعودون ليحتجوا به على صحة تلك القواعد؟!! فضلا عن ان الشعر العربي بأو زانه وقوافيه واعاريضه واضربه وتفعيلاته يرتبط ارتباطا وثيقا بالاعراب كما وصفه النحاة ، وقد استنبط الخليل بن احمد الفراهيدي موازين الشعر وقوانينه ، ولم يتهم احد من العلماء الخليل بانه اتى بما يخالف المألوف ، وقد ادرك المستشرق الالماني تولدكه العلاقة بين ظاهرة الاعراب وأو زان الشعر[٤]، واذا كانت قواعد الاعراب قد استخلصت من الشعر العربي وكان هذا الشعر مصدرا من اهم مصادرها فان الاعراب قديم ((قدم نصوصها لاننا لم نعرف هذه اللغة الا معربة ، ولم يصل الينا من نصوصها الا ما كان معربا))[٥]. اما ما قيل عن صعوبة القواعد الاعرابية وعسر تطبيقها في لغة التخاطب فيجب ان نقيس الامر بمقياسنا نحن وتجربتنا في تعلم العربية فاصحاب هذا الراي من المستشرقون وقد تعلموا العربية وهي غريبة عنهم في اصواتها وقواعدها ، ونحن – ابناء العرب – نتعلمها ونحن غرباء عنه من حيث القواعد والاستعمال ، اذن فلا غرابة في استصعابها ، ولكن لو قسنا اتقان العرب الأولين للغتهم

---

(٣) ينظر : قضية الاعراب بين ايدي الداريسن : ١٠٥-١٠٥ .

(٤) ينظر : النشر في القراءات العشر : ١/ ٣٠ . الاتقان في علوم القرآن : ١/ ٣٠ .

(١) قضية الاعراب بين أيدي الدارسين : ١٠٥-١٠٦.

(٢) ينظر : اللغات السامية ولفنسون : ٧٥ .

(٣) فقه اللغة : ٢٠٩ .

باتقاننا للهجاتنا العامية لاتضح السبب وبطل العجب ، لان للبيئة اثرا لا ينكر في طبع الانسان بما يدور فيها من انماط السلوك وفي مقدمتها انماط التعبير وطرق الحديث ، واذن فليس من الصحيح ان يقيس هؤلاء المستشرقين في صعوبة الاعراب علـيهم-حـين تتعثـر السـنتهم بالعربية وتتلجلج-الى العرب الذين كانوا يتنافسون في حسن البيان وجودة النطـق وجمـال الاسلوب حتى وصلوا الى حد البراعة والاتقان ، ولا عجب بعد ذلك ان تكون المعجـزة التـي تحداهم الله بها ليهديهم الى الايمان هي معجزة من جنس ما برعوا فيه واشتهروا به .

دعوى دلالة خلو اللهجات العامية من الاعراب على عدم وجوده في العربيـة الأولى :

يستدل المنكرون لاصالة الاعراب واهميته في العربية بخلو اللهجات العربية الحديثة منه ويتخذون ذلك ذريعةً لانكار هذه الاصالة وتلك الاهمية ، ((اذ كيف تكون العربية معربة ثم لا يتسرب شيء من ذلك الاعراب الى اللهجات المتفرعة عنها ولو ان امرا نزل من السـماء وتضمن نهي الناس عن الاعراب لما نفذوه بهذه الدقة والصرامة))[١].

ويخلصون من ذلك الى القول بانه ((لو كان للاعراب اهمية لما استغنت عنـه تلـك اللهجات كما استغنى عنه كثير من اللغات الاجنبية))[٢] وكل ذلك غير صحيح ولا يمكن التسليم به : فخلو اللهجات العامية الحديثة من الاعراب واتفاقها جميعا في ذلك لا ينهض دليلا علـى انه لم يكن موجودا في اللغة الفصحى حيث انتاب اصوات اللغة وقواعدها في هـذه اللهجـات الكثير من صنوف التغيير والانحراف، وخضعت مفرداتها وأو زانها ودلالاتها لمعايير تـنص على ان اصوات أو اخر الكلمات عرضة للانحراف سواء اكانت اصوات لين ام اصواتا ساكنة ، وذلك بسبب الاخطاء السمعية أو بسبب تضاؤل الصوت وعدم وضوحه لوقوعه في آخـر الكلمة وكلا السببين يمكن ان يكون وراء اختفاء حركات أو اخر الكلمات في جميع اللهجـات العربية سواء اكانت اعرابية ام بنائية فيقال : ((سافَرْ محمدْ إلى بغداد يومْ امسْ)) بالتسـكين بدلا من ((سافرَ محمدٌ الى بغدادَ يومَ امس)) ، وما حدث في العربية بهذا الصدد حدث مثله في كثير من اللغات السامية وغيرها وما كان يمكن ان تفلت منه لهجة من اللهجات العامية[٣] ولو نظرنا الى تاريخ الاعراب في العربية وكيف كان سائدا في حقب طويلة عندما توافرت أسباب صيانته ، ثم كيف حدث اللحن عندما زالت تلك الاسباب لادركنا انه عادة لغوية يخضـع فيهـا الانسان لبيئة فيمكن ان ينشأ عليها الانسان أو على عدمها حسبما يسود في تلـك البيئـة ،

---

(١) من اسرار اللغة العربية : ٢٠٣ .

(٢) ابحاث في اللغة العربية : ١٢١ .

(٣) ينظر : علم اللغة : ٢٧٠-٢٧٧ .

ولذلك بقيت ظاهرة التصرف الاعرابي سائدة على الالسن زمناً طويلاً في المنـــاطق المنعزلـــة حيث تساعد البيئة والظروف الموضوعية على بقائها كما يفهم من مناقشات ابن جني لبعض الاعراب في القرن الرابع الهجري[١]. فضلا عما ذكره الفيروز ابادي في القاموس فـــي مـــادة عَكَاد – كَسَحاب جبل في اليمن قرب – زبيد – وان سكانه باقون على الفصحة الى عصره في أو ائل القرن التاسع الهجري ، وهو ماذكره ياقوت الحموي قبل ذلك في معجم البلدان[٢] وايد ذلك صاحب تاج العروس واضاف بانهم مازالوا كذلك الى عصره في أو ائل القـــرن الثالـــث عشر للهجرة[٣]، وهو منسوب الى تلك المنطقة مما يزيد في قيمة شهادته حول هذا الموضوع .

دعوى اقتباس الإعراب و أحكامه من اللغات الأخرى :

---

(١) ينظر : الخصائص : ٧٦/١ و ٢٥٠ .

(٢) ينظر : معجم البلدان : ١٤٣/٤ .

(٣) ينظر : تاج العروس : ٤٣٩/٢ .

يحلو لبعض المستشرقين ومن يسيرون في فلكهم ان ينسبوا كل ميزة أو ظاهرة محكمة في العربية الى تاثرها في مؤثرات أجنبية مستكثرين على العربية وابنائها ان يكـون لديهم شيء من حسن التنظيم أو دقة التفكير أو استقلالية البحث،لـذا ذهـب بعـض المستشرقين الى ان ظاهرة الاعراب انما خلقها النحاة خلقا قاصدين بذلك تزويد اللغـة بـنظم شبيهة بالاغريقية[1] وفي الفكرة نفسها دار اكثر من باحث معللين ظاهرة الاعراب بتاثر النحاة العرب فيما حولهم من لغات كاليونانية[2]، ومما لا شك فيه ان تلك الادعاءات تـتلخص فـي موقفين الأول يزعم اصحابه ان النحاة العرب ابتكروا علامات الاعراب تقليدا لليونانية . وهذا الزعم قد اتضح لنا بطلانه فيما سبق من قدم الاعراب في العربية وغيرها من اللغات السامية ، ومن وجوده متواترا في القرآن الكريم ، ومن ارتباطه بقواعد الشعر العربي مما يسند هـذا الرأي ويجعل أثر النحاة مقصوراً في الملاحظة والاستنباط .

ومما يبطل هذا الزعم ايضا ان العربية والاغريقيـة مـن فصـيلتين مختلفتـين فـي اصواتهما وقواعدهما ، ولو كانت القواعد العربية قد اخترعت على غرار القواعد الاغريقية ، مثلما يزعمون ــ لجاءت متفقة معها أو على الاقل مشبهة لها في اصـولها ومناهجهـا[3] وهو ما لا دليل عليه ولذلك حينما وجد ابراهيم انيس احد اصحاب تلك المزاعم نفسه واهمـا راح يعلل زعمه في احد كتبه المتاخرة عند حديثه عن الصراع بين العربية وغيرها في منطقة الشام قائلا : ((تقهقرت اذان الاغريقية امام العربية دون ان تُخَلّف اثرا صوتيا في نطق الناس ودون ان تترك شوائب في صيغ العربية أو تراكيبها علـى السـنة المتكلمـين . ولا غـرو فالاغريقية تنتمي الى فصيلة اخرى ولا تكاد تشترك مع العربية في ظواهر لغويـة واضـحة))[4]فضلا عن ان النحو العربي انما انشئ للمحافظة على ظاهرة تخص العربية الى حد كبيـر ولا توجد في غيرها على هذا النحو من الدقة والشمول والاطراد .

---

(١) ينظر : فقه اللغة : ٢٠٥ .

(٢) ينظر : من اسرار العربية : ١٣٩ ، ومنطق ارسطو والنحو العربي : ٣٣٨ ، وفجر الاسلام : ١٨٣ ، تاريخ الادب العربي : ٢٠٦ ، وضحى الاسلام : ٢/٢٨١ –٢٨٢ ، والاداب السامية : ١٩٩ ، واللغة والنحو : ٢٤٨–٢٥٢ ، وابو الاسود الدؤلي ونشأة النحو : ٧٤–٧٥ ، وتاريخ اللغة السريانية : م٢٣ ح٢ / ٢٦٨ ، والبحث اللغوي عند العرب : ٢٤٨ ، تاريخ اداب اللغة العربية :١/٢٥١

(٣) ينظر : فقه اللغة : ٢٠٧ .

(١) اللغة بين القومية والعالمية : ٢٧٧ .

اما الموقف الاخر فقد اعترف بوجود الاعراب في العربية ولكنه يستكثر على ابي الاسود وتلاميذه ان يبتكروا علما أو يتوصلوا إلى قانون دون الاستعانة بغيرهم من السريان أو اليونان . والحقيقة ان هذه الاستعانة أو هذا الاقتباس سواء في القواعد ام في طريقة الشكل انما يقوم على الظن والتخمين بل على التوهم والادعاء وليس له سند تاريخي من كتب العرب أو من غيرهم ، لان جميع الروايات العربية المتعلقة بنشأة النحو في كتب التراجم والطبقات وكتب تاريخ الادب وعلوم القرآن اجمعت على ان ابا الاسود الدؤلي هو الذي وضع نقط الاعراب كما أنّها تكاد تجمع على انه وضع النحو ، ولم تذكر اقتباسه لشيء من ذلك من لغة اجنبية مع اهتمامها بكل ما يتعلق بحياة ابي الاسود في امور عامة كالمناصب الادارية والصراعات التي عاصرها وعلاقته بالولاة والحكام ومضايقة جيرانه له بمخالفته لهم في الاتجاه السياسي[1]، واما ما ذهبوا اليه من تاثر النحو العربي وقت نشأته في المنطق الارسطي ، وان ذلك يبدو في منهجه من حيث الاعتماد على القياس والتعليل ، فذلك غير صحيح لان القياس بمعناه القريب المتمثل في ربط الاشياء المتشابهة بعضها في بعض واستنباط الاحكام الأولية منها امر تتفق فيه العقول السليمة ، ويمكن ان تتوصل اليه دون تقليد ، وقد ذكرت كتب التراجم ان عبد الله بن ابي اسحاق كان ((أو ل من بعج النحو ومد القياس والعلل))[2] فضلا عن كونه شديد التجريد للقياس وانه ((كان اشد تجريدا للقياس))[3] من ابي عمرو بن العلاء ومن المعلوم ان ابن ابي اسحاق متوفى سنة ١١٧هـ أي في عصر الدولة الاموية وقبل ان يترجم شيء من كتب الفلسفة أو المنطق ، لان الترجمة كانت في العهد الاموي مقصورة على العلوم العلمية كالصنعة والطب والنجوم ، ولم يتعد ذلك الى العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة وما الى ذلك ، وهذه لم تكن الا في الدولة العباسية[4] .

ومما يدل على بعد التعليل النحوي على النطق-عند نشأتها- أنّها علل طبيعية حية أي تقوم على فهم الاسباب المادية في اللغة ، فابن جني يقول : ((فالنحويون إنما يحيلون على الحس ، ويحتجون ثقل الحال وخفتها على النفس))[5]، فهي _ دون أدنى ريب _ علل

---

(٢) ينظر : نزهة الالباء : ٦-١١،واخبار النحويين البصريين:١٣-٢٠ ،وابو الاسود الدؤلي ونشأة النحو : ٧٠

(١) طبقات فحول الشعراء : ١٤/١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ينظر : ضحى الاسلام : ٢٧١/٢ ، وتاريخ التمدن الاسلامي : ٥٨/٣ .

(٤) الخصائص : ٤٨/١ .

وصفية تقوم على دراسة اللغة وظواهرها وتوضح اثرها في النفوس ، وهكذا فان العلل التي احتواها كتاب سيبويه هي علل تعليمية في معظمها لا تذهب بعيدا وراء التعليل المباشر ، فهو يعلل الاحكام ويحلل التراكيب بالرجوع الى المعنى أو تفسير الشكل التركيبي أو بكثرة الاستعمال(١)، ومما يدل على عدم تاثر النحو العربي في المنطق الارسطي في زمن النشأة هو عدم اهتمامه بالتعريفات ، فكتاب سيبويه يكاد يخلو من التعريف على وجه العموم فهو-مثلا- لم يعرف الفاعل ولا الحال ولا البدل ولا غير ذلك من ابواب النحو ، وهو يكتفي في الاغلب بذكر اسم الباب ثم يبدا في عرض الامثلة والقواعد المستخلصة من الاستعمال ومن النادر ان يجد له تعريفا كالتعريف الذي قدمه عن الفعل بانه : ((امثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع))(٢)، واما الاستدلال على التاثر الاجنبي في تقسيم الكلام على اسمُ فعل وحرف فغير علم ، لان هذه الجزئيات موجودة في لغات كثيرة وبعضه تفرضه طبقة اللغة ، فتلك التقسيمات موجودة بعينها في اللغة الهندية(٣) ، وقد بين المبرد ذلك انه تقسيم عقلي حيث قال : ((لا يخلوا الكلام عربيا كان أو اعجميا من هذه الثلاثة))(٤) ، والقول بتاثر النحو العربي في مؤثرات أجنبية مبني على معطيات لاصحة فيها أو غير موثوق بها كعلاقة الخليل بن احمد بابن المقفع أو بحنين بن اسحاق ، علما ان صداقة الخليل لابن المقفع غير ثابتة ، لان المصادر تشير الى انهما التقيا مرة واحدة ، وهذا الاجتماع أو اللقاء صار مثار اهتمام الذين يكثرون على اعلام العربية مقضيات العقل وشواهد الواقع علما ان ذلك اللقاء لم يتكرر(٥) وابعد من ذلك ان يقال بوجود علاقة بين الخليل وحنين بن اسحاق حيث ثبت ان حنينا ولد سنة ١٩٤هـ في حين توفي الخليل سنة ١٧٥هـ وقد وقع احمد امين في هذا السهو عندما ذكر في ترجمة حنين انه لازم الخليل واخذ عنه العربية مع توضيحه لتاريخ مولد الرجلين ووفاتهما(٦) واعجب من ذلك كله ماذهب اليه

---

(٥) ينظر : الكتاب : ٧٩/١ ، ٦٥/٢ ، ١٢٩ و ٥/٣ ، ٥٣ ، ٥٠٤ .

(١) ينظر : الكتاب : ١٢/١ .

(٢) ينظر : البحث اللغوي عند العرب : ٢٤٠ .

(٣) المقتضب : ٣/١ .

(٤) ينظر : امالي المرتضى : ١٣٦/١ ، وانباء الرواة : ٣٤٥/١ ، ووفيات الاعيان : ٢٤٦/٢ ، والدراسة اللغوية عند العرب : ٩٣ .

(٥) ينظر : ضحى الاسلام : ٢٤٥/١ ، ٢٧٠/٢ و ٢٨٤ .

الاب اسحاق ساكا في مجلة العربي حينما اراد ان يثبت ان العربية تـاثرت فـي السـريانية وأخذت النحو منها معتمدا اساساً واهٍ عارٍ من الصحة لان الامر لا يمكن ان يكون في الخيال ، بوصفه رسم رحلة لابي الاسود الدؤلي قصد بها البصرة وتعلم السريانية فيها ثم عـاد الـى بغداد ووضع النحو[1] علما ان بغداد لم تعرف الا بعد وفاة ابي الاسود باكثر من سبعين عاما ، فضلا عن كون البصرة بناها العرب المسلمون تاريخها انه كان بها لغة سريانية ، واما اتفاق الأنظمة الفعلية بين اللغتين مثل : بعتك الدار ، ونحو قوله تعالى : ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ﴾ [2] من التعبير عن الماضي بالحاضر أو التعبير عن المستقبل والحاضر بالماضي نحـو قولـه تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [3] فيكفي ورود امثلة في القرآن الكريم لهذه الظاهرة لاثبات ان النحاة لم يخلقوا هذه الظاهرة تقليدا بغيرهم وانما وصفوا ما احتواه تراثهم اللغوي ، فضلا عن ان النحو العربي قد مر بعدة مراحل قبل ان يصل الى مرحلة النضج ، وان الحقبة الزمنية بين نشأة النحو وكتاب سيبويه تزيد على مائة عام[4] وهي حقبة كافية لخلـق نحـو عربـي متصور دون حاجة الى الاعتماد على نحو لغة اخرى.

وقد انتهى بروكلمان- بعد محاولاته للتشكيك في اصالة النحو العربي-الى القـول : بانه ((فيما عدى الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق ارسطو لا يمكـن اثبـات وجـوه اخرى من التاثير الاجنبي لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية))[5]. كما انتهى المستشـرق ليتمان الى القول : ((بان العرب ابدعوا علم النحو في الابتداء ، وانه لا يوجـد فـي كتـاب سيبويه الا ما ابتدعه هو والذين تقدموه ، وان تقسيم سيبويه الكلام الى اسم وفعـل وحـرف يختلف عن تقسيم الفلسفة اليونانية الكلمة الى اسم وفعل ورباط ، وعلى ذلك فان مصطلحات اسم وفعل وحرف هي اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت))[6] . وهذا يجب ان ينتهي اليه كل باحث منصف انسجاما مع حقائق التاريخ ، واحتراما لاجماع الروايـات ، وتمشـياً مـع

---

(٦) مجلة العربي عدد ١٠٦ سبتمبر ١٩٦٧ ، ٥٠-٥٥ .

(١) البقرة : ٩١ .

(٢) النحل : ١ .

(٣) ينظر : البحث اللغوي عند العرب : ٢٤٨ ، فقه اللغات السامية كارل بروكلمان : ١٠٠ ــ ١٠٢

(٤) تاريخ الادب العربي : ١٢٤/٢ ، فقه اللغات السامية كارل بروكلمان ١٠٠ ــ ١٠٢

(٥) ضحى الاسلام : ٢٩٢/٢ .

مقتضيات العقل شواهد الواقع كالنحو العربي انشأ للحفاظ على ظاهرة تخص العربيـــة وهـــي الاعراب .

فهم الكلام غير المعرب ومدلول علامات الاعراب :

حاول المنكرون لاهمية الاعراب الافادة من هذه الشبهة في دعم رايهم القائل بعـــدم دلالة العلامات الاعرابية على معنى مثل : ابراهيم انيس وفؤاد طرزي ودأو د عبدة كما تقدم .

ويبدو أن القول بهذه الشبهة قديم فقد اشار اليه الزجاجي في الايضاح بقوله : ((فاما من تكلم من العامة بالعربية بغير اعراب فيفهم عنه فانمـــا ذلـــك فـــي المتعـــارف المشـــهور والمستعمل المألوف بالدراية ولو التجأ احدهم الى التعبير عن معنى ملتبس بغيره مـــن غيـــر فهمه بالاعراب لم يمكنه ذلك ، وهذا أو ضح من ان يحتاج الى الاطالة فيه))[١]. ولا غـــرو : ((فلهجات الحديث في جميع الامم تقتصر في العادة على الضروري وتنفر من الكمالي ، ولذلك فان طائفة كبيرة من قواعد اللغة لا تظهر وظائفها وتمس الحاجة اليها الا في مائـــل التفكيـــر المنظم المسلسل والمعاني المرتبة الدقيقة التي يندر ان تعالج في لغـــة التخاطـــب العـــادي ، وهكذا الشأن في جميع لغات العالم))[٢] وايضا فان الجمل والعبارات فـــي اللهجـــات العاميـــة تنطلق من السنة اصحابها بصورة عفوية مفاجئة تستجيب لظروف الحياة وما يستجد فيه من تطورات ، وذلك يستلزم قصرها ووضوحها ، فيغلب ان تكون في صورة جمل قصيرة مكونـــة من فعل لازم وفاعله أو من اسمين فاذا كان الفعل متعديا تحولت الجملة الفعلية الى جملـــة اسمية يسند فيها الفعل الى الاسم المتقدم ، يقول العقاد : ((ويحدث دائما عند اهمال الاعـــراب ان يتغير بناء الجملة من فعلية الى اسمية ، فاللغات الأوربية لا تعرف الاعـــراب ولا تعـــرف الجملة الفعلية كذلك الا نادرا ، وهذه الجملة الاسمية تظهر في العربية علـــى الســـنة العامـــة الذين يهملون الاعراب منهم يقولون : (محمدْ سبقْ زيدْ) لانهم لا يقولون مع العربي الفصـــيح : (سبقَ محمدٌ زيداً) أو (سبقَ زيداً محمدٌ) ومن هذا المثال وغيره يتضح لنا ان الاعراب له

---

(١) الايضاح : ٩٦ .

(٢) فقه اللغة : ٢١٠ .

دلالة مرتبطة بتركيب الجملة في اللغة بحيث تحتاج الى تركيب ينــوب عنــه كلمــا اهملنــاه وتتحول من نظام حر الى نظام مطرد في جميع التراكيب))[1].

وهكذا يتضح لنا ان فهم الكلام غير المعرب انما هو سبب في معانيــه المتــدأو لــة وموضوعاته المتعارفة ، وبسبب قصر الجملة والتزامها نمطاً معيناً فيما يشبه من المعــاني ، فضلا عما يصحبه – في الغالب – من قرائن ودلالات حالية وحسية ولو نظرنا الــى تاريخنــا اللغوي وما روي فيه من امثلة اللحن والانحراف لتبين لنا ان أو لئك الفصحاء الذين كــانوا يتكلمون الفصحى بالسليقة كانوا لا يفهمون الكلام غير المعرب أو يفهمونه على غيــر مــا اراده المتكلم مما يدفعهم الى الاجابة بغير المطلوب أو التوقف عن الاجابــة حتــى يتضــح المقصود كما رأينا في امثلة اللحن التي أدت الى نشأة النحو وبين الجاحظ تلك الدلالة مشــيرا الى ان اصحاب تلك اللغة لا يفهمون قول القائل منا (مكرَهُ اخاك لا بطل) و (اذا اعــزّ اخــاك فَهُنّ) ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم (ذهبتُ الى ابو زيد) (ورايتُ ابي عمرو)[2] فقــد ادرك النحاة هذه الميزة عند العرب فاتخذوها مقياسا لبقاء الفصاحة عندهم فمتى وجــدوا اعرابيــا يفهم هذا واشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه لان ذلك يدل على طول الاقامة في الحاضرة التي تفسد اللغة وتنقص البيان ، ولان تلك الفصاحة انما انقادت لهم واستوت لديهم لعزلتهم ونقاء بيئتهم من شوائب العجمة واللحن[3] . وكذلك الحكم لمن تمرس بقواعد النحو فانه لا يستطيع ان يقطع بمعنى من المعاني المحتملة في نحو:(ما احسن زيد) أو (استقبل محمد علي) دون اعراب الا اذا رجع الى ظروف القول وملابسات الجمل والعلاقة بين طرفي الاسناد مما يكلفــه جهدا ووقتا كان من الممكن توفيره بوضع حركة مناسبة تكشف المراد وتوضح المقصود .

وليس كل كلام يفهم معناه في صورة من صوره يدعو الى ابطال القواعــد والــنظم اللغوية .

واذن فالاحتجاج بفهم الكلام غير المعرب على ابطال مدلول علامات الاعــراب هــو احتجاج في غير محله لانه يختبر الظاهرة عند غير اهلها ، ولان ذلك الفهم ان حصل فانمــا

---

(١) بين الكتب والناس : ٤٣٨–٤٤٠ .

(٢) ينظر : البيان والتبيين : ١/١٦٢–١٦٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه .

يكون في المتعارف المعهود ، بعد الاستعانة عليه بكثير من الظـروف والملابسـات الحاليـة والمقالية وبملامح المتكلم واشاراته وحركات صوته ونبراته .

دعوى ابطال مدلول علامات الاعراب :

لقد تأثرت دعوى دلالة بعض الظواهر اللغوية كظاهرة الوقف والتقاء الساكنين فـي ابطال مدلول علامات الاعراب .

فاتخذ المنكرون لأهمية الاعراب من سقوط الحركات في الوقف دليلا على ان هـذه الحركات انما يؤتى بها لتسهيل وصل الكلمات بعضها ببعض في الكـلام شـعرا أو نثـرا ،

فظاهرة الوقف بما لها من اهمية في اللغة ونظرا الى اتفاق معظم القبائل العربية على حــذف هذه الحركات في هذه الحالة فان ذلك كان هو مفتاح السر عند ابراهيم انــيس للقــول بــان الحركات الاعرابية لم تكن تحدد المعاني في اذهان العرب القدماء كما يزعم النحــاة ، بــل لا تعدو ان تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضــها بــبعض[١] . وبما ان العربية وكذلك اللغات السامية لا تستسيغ الجمع بين الساكنين فقد لجأت الى التخلص منه اما بحذف الأول منهما ان كان حرف علة أو كسره ان كان حرفا صحيحا –وهو الاصــل ــ أو ضمه للمجأو رة أو فتحه وذلك في نون (من) خاصة اذا تلتها (ال) ولذلك رجــح ان تحريك أو اخر الكلمات لم يكن في اصل نشأته الا صورة للتخلص من التقاء ساكنين غير ان النحاة حين اعييتهم قواعده وشق عليهم استنباطها فصلوا بين عناصر الظاهرة الواحدة.

ثم ادعى ان الذي يحدد نوع الحركة هو ميل بعض الحروف الى حركات معينــة أو الميل الى التجانس بين الاصوات المتجأو رة [٢] ، وهذه دعوى عريضة ومعمّمة لا تستند الا الى الفرض والتخمين واستغلال بعض الشبهات و الظواهر للوصول الى نتائج محددة ســلفا ، وينقصها الاطراد وتنقضها ظواهر اللغة ، فضلا عن ان النحاة لم تفتهم دراســة مثــل هــذه الظواهر والتعليم لما يترتب عليها بعلل ان لم تكن ملزمة فانها غير بعيدة عــن ذوق العــرب وعاداتهم اللغوية ، يقول ابن جني: ((فان قلت : قدمت ان هذا – نحو ابراهيم واحمد ويضرب ويغرق – مما تلزم حركته وانت تقول في الوقف : ابراهيم واحمد ويضرب ويغرق ، فلا تلــزم الحركة ، قيل: (اعتراض الوقف لا يحفل به ، ولا يقع العمل عليه) وانما المعتبر بحال الوصل ... لان حال الوصل اعلى رتبة من حال الوقف ، وذلك ان الكلام انما وضع للفائدة ، والفائــدة لا تجني من الكلمة الواحدة ، وانما تجني من الجمل ومدارج القول ، فلذلك كانت حال الوصل عندهم اشرف واقول واعدل من حال الوقف))[٣].

وقد علل سيبويه حذف الضمة والكسرة في الوقف بانه لارادة التخفيف حيث انه لــو وقف عليهما لتولدت عنهما الوأو والياء ، والوأو والياء اثقل عليهم من الالف ، فاذا كان قبل الياء كسرة وقبل الوأو ضمة كان اثقل ، وهم قد يحذفون الياء التي قبلها كســرة ولــو

---

(١) ينظر : من اسرار اللغة : ٢٥٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٧–٢٣٨ .

(١) الخصائص : ٣٣١/٢ .

كانت من بينه الكلمة نحو القاضِ[1] ، كما علل لابدال تنوين المنصوب الفاً بانه لارادة التفريق بين التنوين والنون الاصلية والملحقة بها في نحو : حسن ورعشن كما فرقوا بين تاء التانيث والتاء الاصلية بقلب تاء التانيث في الوقف هاء[2] .

ويقول ابو البركات الانباري : ((فان قيل : فلم ابدلوا من التنوين الفا في حال النصب ولم يبدلوا من التنوين وأو ا في حال الرفع ولا ياء في حالة الجر . قيل لوجهين : احدهما : انما ابدلوا من التنوين الفا في حال النصب لخفة الفتحة بخلاف الرفع والجر فان الضمة والكسرة ثقيلتان . والوجه الثاني : انهم لو ابدلوا من التنوين وأو ا في حالة الرفع لكان يؤدي الى ان يكون اسم متمكن في آخره وأو قبلها ضمة ، ولو ابدلوا من التنوين ياء في حال الجر لكان ذلك يؤدي الى ان تلتبس بياء المتكلم))[3] .

وبهذا التعليل المبني على التخفيف والتسهيل وهما في الامور النسبية يبقى الباب مفتوحا لاختلاف اللهجات في الوقف ، فقد تتجشن بعض القبائل الثقل وتحافظ على الحركات لاهميتها كما روي عن – ازد السراة – الذين يقولون : (هذا زيدُ وهذا عمرُو ، ومررت بزيدي وبعمري حيث جعلوا الوقف قياسا واحدا فاثبتوا الياء والوأو كما اثبتوا الالف[4]. ويبقى ايضا مفتوحا لمن يبالغون في التخفيف ويتعجلون في النطق فيحذفون الحركات الثلاث كما في بعض اللهجات المغمورة التي حكاها الاخفش[5]. اما ما ذهب اليه قطرب ثم ابراهيم انيس من ان الاصل في الكلمات هو السكون ، وانما حرك لضرورة الوصل ، وقد رد القدماء على قطرب في زعمه هذا بانه لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ورفعه ونصبه مرة اخرى وجاز نصب المضاف اليه لان القصد في هذا انما هو الحركة تعاقب سكونا ويعتدل به الكلام والمتكلم مخيّر في ذلك وفي هذا فساد للكلام وخروج عن أو ضاع العرب وحكمة نظام كلامهم[6]، وفصل الدكتور مهدي المخزوي القول في ذلك[7] حيثما رأى ابراهيم انيس ان

---

(٢) ينظر : الكتاب : ١٦٦/٤ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٦٧/٤ .

(٤) اسرار العربية : ٤١٣ .

(١) ينظر : الكتاب : ١٦٧/٤ .

(٢) ينظر : شرح المفصل : ٦٩/٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه .

(٤) ينظر : مدرسة الكوفة : ٢٤٩–٢٥١ .

تحديد الحركة يعتمد على الميل أو التجانس ومما يعترض به على مذهب قطرب ومن سار على نهجه في قولهم بان حركات الأواخر انما يؤتي بها للوصل اننا نجد حركات كثيرة لا تظهر الحاجة اليها في الوصل سواء في الفعل ام في الاسم نحو : ((ذهبَ محمدٌ الى مدينتِهِ)) و ((يعودُ خالدٌ بعدَ شهرٍ)) فالفتح في الماضي وفي الظرف والرفع في المضارع وفي الفاعل في هذين المثالين الاجابة اليهما في الوصل ويمكن تسكين هذه الافعال والاسماء دون ضرر أو مانع ، وهو ما حدث في اللهجات العامية[١]. فالاصل في حركة التخلص من التقاء ساكنين ان تكون كسرة ، وقد تكون ضمة للمجاورة ، في حين ان حركات الأواخر اكثر تنوعا في ذلك ، ولذلك علله قطرب بارادة التوسع[٢] ، وهو جواب غير مقبول في علم اللغة ، ولو كان كذلك لكان المتكلم حرا في اختيار حركة التخلص وهو خلاف الواقع[٣].

فقد درس النحاة احكام الوقف واحكام التقاء ساكنين وفرقوا بين الحركات التي يؤتي بها للوصل بسبب حاجة صوتية لغوية والحركات التي لم تكن كذلك ، فعندما عرفوا الاعراب قالوا : ((انه ما جيء به لبيان مقتضى العامل وخرجوا بقيد مقتضى العامل حركة البناء والثقل والاتباع والمناسبة والتخلص من التقاء ساكنين وسكون البناء وحرفه وحذفه وسكون الوقف والادغام والتخفيف))[٤].

ولو لم يكونوا لاحظوا ذلك أي الفرق بين حركة الوصل والحركات الاخرى لما اصروا على ان تاء التانيث ساكنة مع علمهم بانه يلحقها الكسر في نحو : (جاءت النّساء) ، وان الفعل المضارع يكون ساكن الاخر اذا سبقته اداة جزم–ولم يكن معتل الاخر–مع انه يلحقه الكسر مثل : (لم يحضر الرجل) لان هذه الحركة عارضة بدليل انه لا يرجع ما حذف لاجل السكون نحو : (لم يكن الرّجل موجودا) فعين (يكن) حذفت لسكون لامها ، ولم ترجع بعد تحرّك اللام لان هذه الحركة عارضة وان المضاف الى ياء المتكلم معرب بحركات مقدرة والحركة قبل الياء للمجانسة .

---

(٥) ينظر : أبحاث في اللغة : ١٠٤–١٠٦ .

(١) ينظر : الايضاح في علل النحو : ٧١ .

(٢) ينظر : ابحاث في اللغة : ١٠٤–١٠٦ .

(٣) شرح الاشموني بحاشية الصبان : ٤٨/١ .

وهكذا يتضح لنا ان نقطة الوهم عند قطرب وابراهيم انيس هي في التعميم وحصر مهمة الحركات في تسهيل الوصل حيث ثبت ان هناك اغراضا كثيرة تستخدم لها الحركات فقد تكون للوصل عند التقاء ساكنين ، وقد تكون للتناسب والانسجام وقد تكون من بنية الكلمة ، واكثر ما تكون ذلك في أو ائل الكلمات وحشوها أو في اخر المبنيات كـ (حيث واين ...... الخ) وعندما تلتزم العربية حركة معينة في مجال معين تصير تلك الحركة علامة على ما اقترنت به كفتحة (انتَ ومنكَ) وكسرة (انتِ ومنكِ) للمخاطبة ولم يقتصر دور الحركة على التمييز بين الصيغ والموازين بل افيد منها في تنويع المعنى للكلمة الواحدة مثل : البِرّ و البَرّ والبُرّ أو الحَبّ والحُبّ والحِبّ والقُرى والدّين والدَّين .... الخ وكذلك فعلوا في الحرف الثاني فقالوا فَرِحٌ وفَرَح وصفا ومصدرا وسَفَر وسَفْر مصدرا واسم جمع والكَرَم : ضد اللوم والكَرْم شجر العنب .... الخ .

فاذا سلمنا بقيمة الحركة على الحروف الأولى والوسطى ودلالتها على تغيير المعنى فكيف لا نقبل بذلك في حركات الحروف الاخيرة ؟!

اما القول بان هذه الحركات تُعَدّ جزءا من بنية الكلمة أو الصيغة و أنّها شرط للتعرف عليها[1]، فهو يدل على قبول الفكرة من حيث المبدأ اذ ان ذلك يعني من عادة العرب التفريق بين معاني الصيغ أو الالفاظ بحركاتها .

وأو د أن أسال : هل اذا كانت الحركة جزءا من بنية الكلمة لا تحذف؟ أو بعبارة اخرى هل الحركة لا تحذف اذا كانت جزءًا من بنية الكلمة ؟ وهل يفسر حذف المعنى؟ هذا ما يفهم من كلامهم ولكن الواقع اللغوي يؤكد ان كثيرا من حركات أو اسط الكلمات والتي تعد جزءا من بينة الكلمة قد تحذف ويستعاض عنها بالتسكين للتخفيف وذلك في الكسرة والضمة مثل : فَخِذ وعَضُد يقال فَخْذ وعَضْد ولا يقولون : في جَمَل : جَمْل ولا يخففون لان الفتح اخف عليهم[2] بل ان الحروف الاصلية في الكلمة قد تحذف في الوقف تشبيها بالحركات كقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [3]﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [4] و ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [1] و ﴿عَٰلِمُ

---

(١) ينظر من اسرار العربية : ٢٢٦ .

(٢) ينظر الكتاب : ٤/١٨٨ .

(٣) الكهف : ٦٤ .

(٤) الفجر : ٤ .

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ (٢) وقد يكون ذلك في غير الوقف نحـو : ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ (٣) ومثله قول رؤبة(٤) :

وصّانَي العجاج فيما وصّني

فهذه الحروف حذفت للتخفيف كما حذفت الحركات له كذلك في مثل قول امرئ القيس (٥):

فاليومَ أشربْ غيرَ مُستَحقِبٍ إثماً منَ اللهِ ولا واغِلِ

وعلى ذلك يمكن ان نقول : ان سقوط حركة الاعراب في الوقف لا ينقص من قيمتها كما ان سقوط هذه الحروف لا يمكن ان يؤدي الى القول بعدم اهميتها وكونها جزءا من بنيـة الكلمة ، مع ان سقوط الحرف وحركة الحشو متفق على جوازهما وفي تسكين حركة الاعراب في غير الوقف خلاف ، والصحيح منعه .

وهكذا يمكن القول : ان الحركة لها اهميتها وقيمتها سواء اكانت في أو ل الكلمة ام في وسطها ام في اخرها ، وانه اذا كانت الحركة حركة الاعراب تسقط في الوقـف أو فـي غيره فان ذلك يحدث ايضا للحركة التي هي من بنية الكلمة في وسط الكلمة وفي اخرها لقصد التخفيف أو التناسب كما تسقط الحروف ايضا ، وذلك كله لا يؤدي الى نقص اهميـة هـذه الحركات والحروف أو يفقدها قيمتها . ونعود لنقول : ان عبارة مثل : ما احسن زيد يسـلم الجميع بامكان دلالتها على التعجب والنفي والاستفهام وليس في التراكيب الثلاثة شـيء قـد تغير سوى حركة الاخير في كل من الكلمة الثانية والثالثة ، وقد يقول قائل ان النغمة الصوتية وطريقة الاداء وموضع النبر قد يدل على نوع الجملة ، فنقول قد يصـح ذلـك فـي الكـلام المسموع وان كان يتطلب دقة الملاحظة وشدة الانتباه وحسن الاستخدام من المتكلم والسامع اكثر مما تطلبه علامة الاعراب ، ولكن ماذا نفعل في الكلام المكتوب؟ قد يقال : ان علامـات الترقيم تساعد على ذلك ، ولكننا نعرف ان علامات الترقيم قد تساعد على بيان نوع الجملـة من خبر أو استفهام أو تعجب ، فتفرق بينها من هذه النواحي ولكنها تعجز عن توضـيح العلاقة بين المفردات في الجملة الواحدة وهو الاهم ، وهي مع ذلك علامـات اجنبيـة عـن

---

(٥) غافر : ٣٢ .

(١) الرعد : ٩ .

(٢) يوسف : ٥١ .

(٣) مجموع اشعار العرب : ١٨٧ . ٤ .

(٤) ديوانه : ٢٥٨ .

العربية ، فان كان لا بد من علامة فلتكن عربية أو لا ، ثم لا مانع بعد ذلك من الاستعانة بما يتيسر من وسائل.

ان حركات الأواخر ما هي الا اصوات قصيرة تقع على الحروف للتفرقة بين صيغ الكلمات ووظائفها ، فمنها ما يثبت على حرفة فيكون حركة بناء أي انه من بنية الكلمة وملازم لها ، ومنها ما يلحق الاخر ويتبدل بتبدل وظيفة الكلمة فيكون اعرابا ، والاصل في الاعراب ان يكون بالحركات وقد ينوب عنها علامات اخرى فرعية كحروف العلة وثبوت النون والحذف .

وعليه فان من المغالطة ان يقال : لو كانت الحركات دوالاً على المعاني لظهرت في آخر المثنى وجمع المذكر السالم والاسماء الخمسة والافعال الخمسة والمقصور والمنقوص لقيام الحرف مقام الحركات في هذه الكلمات أو لامتناع ظهور الحركة عليها للتعذر أو للثقل فتقدر فيها الحركات ويظهر اثرها في توابعها.

واما المبنيات فان كانت حروفا فلا حاجة الى اعرابها وان كانت اسماء فان العربية لم تتركها مهملة فثم مبينات تلزم صدر الكلام ولا تجأو زه الا اثنائه ابدا كاسماء الشرط والاستفهام وثمة مبينات لا تكون الا في محل رفع واخرى لا تكون الا في محل نصب . وان هذه وتلك لتختلف في اللفظ أو في حركة البناء أو الزيادة التي تزاد على اخره تبعا لما تدل عليه ، فاذا هي في هذه الحالة اشبه بالمعرب وادنى اليه[١] ولا يقدح في ذلك وقوع ضمير النصب والجر موقع ضمير الرفع بعد لولا نحو لولاي ولولاك لانه قليل وفي جوازه خلاف[٢]، على أنَّ سيبويه والجمهور يرون ان لولا في هذه الحال حرف جر فالضمير في محله[٣].

فالذي يجب تأكيده هو ان دلالة علامات الاعراب على المعاني ليست دلالة عقلية منطقية غير قابلة للتخلف بل هي دلالة عرفية قد تتخلف للضرورة أو المناسبة أو في بعض الاساليب مثل : ((قراتُ صفحة من كتاب الاستاذ الجديد)) فتعدد الاسماء واتفاق اعرابها جعل من الصعب تخصيص الوصف باي منها ، ولو اختلف اعراب الاسمين قبل الوصف لزال اللبس مثل : (قرأتُ كتابَ الاستاذِ الجديدِ) فاختلاف الاعراب هو العامل الاساس في التوضيح .

---

(١) ينظر : من قضايا اللغة والنحو : ٢٦ .

(١) ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف : ٦٨٧/٢ ، مسالة ٩٧ ، وشرح المفصل : ١٢٠/٣-١٢١.

(٢) ينظر : الكتاب : ٢٧٣/٢-٢٧٤ .

واما نحو : (احب سلمى اكثر من ليلى) حيث لا يدري هل المفاضلة بين الحبين أو المحبوبين ، فيكون فهمها من السياق وعلاقة المتكلم بكل من سلمى وليلى أو باعادة الصياغة ، فيقال احب سلمى اكثر مما تحبها ليلى أو اكثر من حبي ليلى ولكل قاعدة شواذ.

اما اختلاف الحركات واتحاد المعنى أو اتحاد الحركات واختلاف المعنى فانما يحدث في جمل مختلفة لا في جملة واحدة واذا اختلفت الجمل والعوامل فلا ضير ولا لبس ، لانه لا بد من اختلاف المعنى لاختلاف العوامل مثل : انّ زيدا قائمٌ وقد اصطلح العرب على رفع المسند اليه الا اذا وقع بعد الحروف التي اصطلح عليها بالحروف الناسخة لشبيهها بالفعل وشبه اسمائها بالمفعول ، على ان اصل الاعراب ان يكون في الاسماء التي تذكر بعد الافعال من فاعل ومفعول حيث ان اختلاف معانيها يوجب التفريق بينها ثم جعل سائر الكلام على ذلك من باب المشابهة والاستحسان[1].

وهكذا يتضح لنا ان العيب لم يكن في القواعد النحوية أو قوانين الاعراب وانما في كثرة التطورات والافتراضات العقلية وتخريج الاساليب بمقتضاه دون ربطها بالموقف الذي قيلت فيه والاستفادة بملابساته والاستعانة بكيفية الاداء وصورة النطق عند العلم بها .

نظام الجملة وسياق الكلام لا يغنيان عن الاعراب

يرى المنكرون لاهمية الاعراب ان نظام الجملة وسياق الكلام يغنيان عن الاعراب لان الفاعل-في زعمهم-لا يعرف بضم اخره ولا المفعول بنصبه ، بل يعرف كل منهما-في غالب الاحيان-بمكانه من الجملة الذي حددته له اساليب اللغة فاذا انحرف احدهما عن موضعه تتبعناه في موضعه الجديد بسهولة ويسر ودون لبس أو ايهام حيث ان ضروف الكلام توحي به وترشدنا اليه ، فالفاعل في اغلب الكلام العربي يلي الفعل ويسبق المفعول به[2].

ولا يتقدم المفعول على الفاعل الا في مواضع عدّ منها ابراهيم انيس : اسلوب الحصر وطول الكلام مع الفاعل وتوابعه نحو : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾ [3]، أو اتصل الفاعل بضمير المفعول نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [4] أو لمراعاة الفواصل

---

(٣) ينظر : الايضاح في علل النحو : ٧١ .

(١) ينظر : من اسرار اللغة : ٢٢٨ .

(٢) النساء: ٨ .

(٣) البقرة : ١٢٤ .

القرآنية نحو قوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [1] ، أو لصغر بنية المفعول نحو قوله تعالى : ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [2] ، أو كان الفاعل كلمة كريهة للنفس البشرية كالموت والضر والنار نحو قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [3]،﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ [4].

ثم يقول : ((نستطيع ونحن مطمئنون ان نقرر ان الاساليب العربية القديمة بينت مكان الفاعل ومكان المفعول بما لا يدع مجالا للبس وبما لا يحوج الى رفع الفاعل ونصب المفعول هذا الى ما نعهده من ان لكل كلام ضروفا وملابسات ، فليست اللغة مفردات في معاجم : ولا جملا منعزلة منفصلة تدون في الصحف)) [5] .

الحقيقة انه لا يمكن لاحد ان ينكر ما لسياق الكلام وظروفه وملابساته من أثر مهم في توضيح الاغراض والمقاصد التي يرمي اليها المتكلم ولكن فهم تلك الملابسات والالمام بتلك الظروف امر لا يتيسر لكثير من الناس وخصوصا اذا كان الكلام مدونا ، وان بيتاً واحداً من الشعر القديم سيضطرك بغية تفسيره ان تعود الى اكثر من كتاب لتعرف صلة الشاعر بمن يقول فيه ، واذا كان مثل ذلك واجبا في تفسير النصوص المعقدة أو التي قيلت في مناسبات خاصة فهل من الواجب ان نعرف ظروف كل جملة ومناسبتها لنفهم معناها ، فاي تعسف هذا الذي نلجأ إليه واي ايجاز هذا الذي نتركه ، فاذا كانت الحركة الواحدة على الحرف تكفي لمعرفة القول وفهمه افليس من الاجدر ان ناخذ بها وبدلالتها بدلا من ان نعود الى معرفة قصة كاملة لكل جملة؟

ان نظام الجملة في العربية قد اتسم بكثير من المرونة وحرية الحركة مما اكسبه القدرة على تأدية كثير من الاغراض الدقيقة والايحاءات الرفيعة والتعبير عن المواقف النفسية والخوالج الشعورية بايسر جهد واقل تغيير .

وان التقديم والتاخير بين اركان الجملة ومتعلقاتها كما يقول عبد القاهر الجرجاني : ((هو باب كثير الفائد جم المحاسن وأسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة

---

(٤) طه : ٦٧ .

(٥) البقرة : ٢٥٩ .

(٦) الانعام : ٦١ .

(٧) الزمر : ٤٩ .

(١) من اسرار اللغة : ٢٣١-٢٣٢ .

ويقضي بك الى لطيفة ، لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ولطيف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ، وان اقدم فيه شيء ، وصول اللفظ عن مكان الى مكان))[1]، وقال سيبويه عن تقدم المفعول : ((وهو عربي جيد كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى ، وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))[2] وقد جوز ابن جني عود الضمير المتصل بالفاعل على المفعول المؤخر في نحو قول الشاعر [3] :

جزى ربُّهُ عَنّي عدِيَّ بنَ حاتم   جزاء الكلاب العاو يات وقد فعل

محتجاً بـ ((ان المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذهبهم كثرة تقدمه على الفاعل حتى دعى ذاك أبا علي الى ان قال : انّ تقدّم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما ان تقديم الفاعل قسم قائم براسه ايضا وان كان تقديم الفاعل اكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا))[4]، واستشهد لهذا التقدم بايتين وعشرة ابيات من الشعر[5] ، ثم قال : ((والامر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر ، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له ، حتى انه اذا آخر فموضعه التقديم))[6]، وهذا في تقديم المفعول على الفاعل وتأخره عن فعله أي توسط بينهما حيث يكون جوازا ووجوبا ، وليس هذا حسب بل قد يتقدم المفعول على الفعل جوازا ووجوبا في مواضع ذكرها النحاة في باب الفاعل والمفعول[7].

ومن تقدم المفعول على فعله جوازا قوله تعالى : ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ [8] وقوله : ﴿وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [9] وقوله : ﴿كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ [1] وقوله : ﴿وَكُلّاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [2] وقوله : ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾ [3].

---

(٢) دلائل الاعجاز : ١٠٦ .

(١) الكتب : ٣٤/١ .

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، ينظر : ديوانه

(٣) الخصائص : ٢٩٥/١

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٩٥/١-٢٩٧ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٩٧ .

(٦) ينظر : همع الهوامع شرح متن جمع الجوامع في العربية : ١٦٦/١ ، وشرح الاشموني : ٥٥/٢ .

(٧) البقرة : ٨٧ .

(٨) النساء : ٩٥ ، والحديد : ١٠ .

وقوله : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ [4] وقوله : ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [5] وقوله : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [6] وهذا ما انكره ابراهيم انيس عندما قال : ((ولست اغالي حين اقرر ان المفعول لا يصح ان يسبق ركني الاسناد في الجملة المثبتة كما يزعم اصحاب البلاغة في تلك الامثلة المصنوعة من نحو : ((زيدا ضربت أو زيدا ضربته))[7]. واعترف بتقدمه اذا كان اسم شرط أو استفهام أو كان مسبوقا بالاستفهام بالهمزة نحو : ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [8] و ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [9] و ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [10] و ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ [11] و ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [12] . والمواضع التي ذكرها ابراهيم انيس لتقدم المفعول ليست دقيقة ولا مشتقاة ، فقد ذكر ان المفعول يتقدم في اسلوب القصر أو الحصر نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [13]، فهل نفهم منه ان اسلوب القصر يستلزم دوما تقدم المفعول؟ الحقيقة ان اسلوب الحصر بـ (انما) يستلزم تاخر المحصور فيه فاعلا أو مفعولا ، ومن تاخير المفعول في الحديث النبوي الشريف : ((فانما ياكل الذئب القاصية))[14] وفي القصر بطريقة النفي والاستثناء يكون المقصور عليه بعد اداة

---

(١) الانعام : ٨٤ .

(٢) الانعام : ٨٦ .

(٣) الاعراف : ٣٠ .

(٤) هود : ١٢٠ .

(٥) الفرقان : ٣٩ .

(٦) العنكبوت : ٤٠ .

(٧) من اسرار اللغة : ٣١٦ .

(٨) غافر : ٨١ .

(٩) الاسراء : ١١٠ .

(١٠) الانعام : ١٤

(١١) القمر : ٢٤ .

(١٢) المائدة : ٥٠ .

(١٣) فاطر : ٢٨ .

(١) سنن النسائي : ١٠٧/٢ .

الاستثناء فاعلا أو مفعولا في قصر الفاعل على المفعول نحو ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [1] ومن قصر المفعول على الفاعل نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [2] .

وهكذا يتبين لنا انه ليس من السهل ان نضع قواعد محددة لتقديم المفعول على الفاعل أو تأخره عنه ، وكل ما حدده النحاة هو المواضع التي يجب فيها التقديم أو التاخير وحكموا بالجواز في غير تلك المواضع دون حصرٍ أو تقييد ، بيد ان ابراهيم انيس حصر تقديم المفعول في سبع حالات في النثر[3] اما الشعر فقد ادعى بان نظام الكلمات فيه يسير حسب هوى الشاعر ووفق فنه ، وان الشاعر قد يقدم المفعول لا حرصا على قافيته ولا رعاية لوزن ، بل رغبة في التحرر مما الفه الناس ورغبه في السَّمو بفنه عن كل ما هو معهود مألوف ، وطلبا لكل ما هو جديد[4].

لقد خلط ابراهيم انيس في احتجاجه ... ودلنا على بعده عن تحصيل المعاني وذهابه عن مقاييس النحو ، واجرى كلامه الى غاية توجب قلب اللغة ونقض مباني العربية ، لانه جعل الشعراء بزعمه امراء الكلام واباح لهم التصرف في غير ضرورة ، وهذه القضية ان سبقت على اطرادها زال نظام الاعراب ، وجاز للشاعر ان يقول ما يشاء ، واذا كان كذلك فلا بد من حد يقف عنده الشاعر وينتهي اليه الفرق بين النظم والنثر وما جيز للمضطر من التسهيل وفضل به النظم من التسامح انما هو ابواب معروفة ووجوه محصور اكثرها ومعظم ما يوجد فيها رد الكلمة الى اصلها والى ما أو جب القياس الاعم لها[5] وقد كفانا ابن فارس حينما قال : ((ولا معنى لقول من يقول ان للشاعر عند الضرورة قد ياتي بما لا يجوز ... وما جعل الله الشعراء معصومين من الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول وما ابته العربية واصولها فمردود))[6] وقد عد علماء المعاني اختلاف تركيب الكلام عما هو مألوف في في اللغة نوعا من التعقيد المنافي لفصاحة الكلام وذكروا لذلك امثلة منها بيت الفرزدق :

---

(٢) يس : ٤٩ .

(٣) آل عمران : ٧ .

(٤) ينظر : من اسرار اللغة : ٢٢٩-٢٣١ ، و ٣١٦ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٢-٢٣٣ .

(١) ينظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٥٢-٤٥٣ .

(٢) الصاحبي : ٢٧٥-٢٧٦ .

وما مثله في النّاس إلا مُمُلّكا   ابوامه هي ابوه يقاربه (١)

ان ظاهرة الاعراب هي الحل المناسب والدليل الملائم لمسايرة الجملة ونظامها في العربية ذلك الدليل الذي اقترن بالعربية منذ وجودها ، وارتضاه العرب دليلا للفكر ، ورفدا للمعنى ومساعدا على حرية التصرف في التراكيب ، فهو الذي يقرب الفكرة ويرشد الى المعاني الاساسية للجملة ، وبعد ذلك تتبارى العقول على قدر استعدادها لفهم دلالات التراكيب واسرار الالفاظ وايحاءات المواقف والقرائن، وان أي حل يتغاضى عن هذه الحقائق ويبتعد عن روح العربية وطبيعتها سيبقى في حيز الخيال ، وفي دائرة الفرض والتخمين ، ولن يجد طريقة للتحقيق ما دامت العربية تحتفظ باسمها ومسماها .

---

(٣) ينظر : دلائل الاعجاز : ٨٣ .

الخاتمة

والآن بعد تطاوفنا في أركان هذا الموضوع وزواياه يحسن بنا أن نختصر ما ذكرناه عن ظاهرة الإعراب .

إذ يعد الإعراب من العلوم الجليلة التي خص بها العرب فهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ . ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منصوب ، ولا تعجب من استفهام . والإعراب من صفات العربية الموغلة في القدم، في حين أن سائر اللغات ــ عدا ــ الأكدية فقدت ظاهرة الإعراب منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الإعراب بقايا نجدها في العبرية والحبشية .

وبعد هذه الرحلة العلمية الموسعة الممتعة حول ظاهرة الاعراب في العربية والالمام بمعظم جوانبها والاطلاع على مختلف الآراء حولها يمكننا ان نوجز ما انتهى اليه البحث ومن نتائج على النحو الآتي :

١. ان اللغة العربية هي اقدم اللغات الحية واكثرها اصالة وعراقة مما اكسبها مميزات وخصائص جعلتها من ارقى اللغات ، واقدرها على مسايرة الحياة ومواكبة التقدم ، كي توفر لاهلها العزم الصادق والتصميم الاكيد على النهوض بانفسهم ولغتهم ، وعلى رأس تلك المميزات والخصائص : ظاهرة الاعراب التي هي وسيلة لايضاح المعاني وتحديدها وازالة اللبس والغموض عنها .

٢. ومن الظواهر التي التمس الباحث فيها دلائل القدم في العربية هي :

أ ــ الدلائل الأدبية ، فشعر ما قبل الإسلام يمثل مرحلة متقدمة ومتنامية وتقدم نماذج عالية من العربية ، ولا يمكن أن تكون هذه النماذج بأي حال من الأحوال من البدايات في اللغة ، فمن يتأمل في خصائصه المتوارثة يجدها تقدم أنموذجاً فنياً عالياً ومثالياً لجميع الأنماط الشعرية العربية المتطورة ، والأنواع العروضية الأخرى المبتكرة .

ب ــ الجموع من المواد اللغوية التي احتفظت بها اللغة العربية إذ اختصت اللغة العربية بجموع التكسير الذي خلت منه اللغات الجزرية الأخرى .

ج ـ من الظواهر التي تدل على قدم اللغة العربية أن فيها ألفاظاً تشبه أن تكون بقايا تأريخية درست أصولها مثلما تدرس الآثار المادية ، ثم يتخلف بعد ذلك أساس مكين لم يستسلم لعوادي الزمن .

د ـ ظاهرة التثنية التي تدل على قدم العربية لأنها وجدت في اللغات الجزرية ، وفي السنسكريتية ، ولها آثار في اللغات الجرمانية .

٣. ان النحو العربي انما نشأ للحفاظ على هذه الظاهرة وصيانتها بعد ان تسرب اللحن الى ألسنة العرب وغيرهم ، وفي ذلك دليل على اهمية هذه الظاهرة عند العرب والمسلمين في ذلك العصر .

٤. ان القول بدلالة العلامات الاعرابية على المعاني التركيبية هو عمود النحو العربي واساسه عند كل العلماء وفي كل العصور اذا استثنينا قطربا وبعض متابعيه في العصر الحديث ، لا يعني هذا القول انها الوسيلة الوحيدة للمعنى ، بل هناك وسائل اخرى تساعد على تحديده ، ولكن قرينة العلامة الاعرابية هي ايسرها واوضحها لانها مدركة من طريق الحس السمع والبصر، وقد تتعين لتحديد المعنى ولا يغني عنها غيرها في كثير من الامثلة والتراكيب.

٥. ولا يعني ذلك ايضا ان دلالة هذه العلامات على المعاني هي دلالة عقلية منطقية لا تقبل التخلف بل هي دلالة عرفية قد تتخلف للضرورة او المناسبة او في بعض الاساليب في القليل من الاحيان ، ولكن العربية الفصحى قد التزمت استعمال علامات الاعراب على النحو الذي وصفه النحاة ، سواء توقف عليها وضوح المعنى ام لا .

٦. ان هذه الظاهرة هي ظاهرة اصيلة في العربية اقترنت بهذه اللغة منذ أن عرفها التاريخ ، وعلى ذلك فلا مجال للقول بابتكارها وخلقها من العدم أواقتباسها من لغات اخرى اقل منها شأناً في انتشارها او في اهتمامها في الاعراب ذلك ان مثل هذا القول ينقصه السند التاريخي وتعارضه الادلة القوية .

وأرجو من الله العلي القدير أن تكون هذه النتائج جزءاً ولو ضئيلاً فيه فائدة للدارسين من طلاب العلم ، وأسأل الله العليم القدير بما خطت به الأقلام ، وبما حوت الصدور أن ييسر لنا سبيل التعلم والبحث إنه على كل شيء قدير .

وله الحمد أولاً وآخراً .

Abstract

After this enjoyable journey and seeing various opinions, we conclude:

١. Arabic is the most ancient languages. It has so many characteristic which make it advanced. One of these characteristic is this phenomenon.

٢. The grammar of Arabic keeps this phenomenon after some errors which spread to Arabs. This an evidence to this phenomenon to Arabs and Muslims.

٣. The consideration of the marks on the structural meanings is the basic of Arabic grammar to all the grammarians. This doesn't mean that it is the only means to determine the meaning. Of course there are so many means , but it is the most easiest one because it depends on hearing , sight and teaching.

٤. This does not mean that the marks semantics in to meaning is mental and logical .The standard Arabic marks.

٥. This phenomenon is original in Arabic. It joins with Arabic all over history, so there is need to say of inventing it or create it from other languages, because this need evidence.

* ثبت بأسماء المصادروالمراجع *

ــ القرآن الكريم

حرف الألف

ــ الآداب السامية ــ محمد عطية الابراشي،دار إحياء الكتب ــ القاهرة ، ١٩٤٦ م.

ــ الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر،الدكتور محمد حسين ، بيروت ١٩٧٣ م.

ــ الاتقان في علوم القرآن ــ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد ، القاهرة ١٩٦٧م.

ــ أبحاث في اللغة العربيةــ الدكتور داود عبده،الطبعة الأولى ــ بيروت ١٩٧٣ م.

ــ أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ــ الأستاذ الدكتور: رشيد عبد الرحمن العبيدي ، ط ١ ، مطبعة وزارة التعليم العالي ــ بغداد .

ــ إبراهيم أبو الأنبياء ــ عباس محمود العقاد ــ بيروت ١٩٦٧ م.

ــ إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر ــ أحمد بن محمد البنا الدمياطي (ت ١١١٧ هـ)،تحقيق : شعبان محمد إسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٧ .

ــ احكام القرآن ــ لأبي بكر بن العربي (ت ٤٣٢ هـ) ،تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٥٧ م ــ ١٩٥٨ م .

ــ إحياء النحو ــ إبراهيم مصطفى ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ م.

ــ أخبار النحويين البصريين ــ لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، تحقيق : طه محمد الزيني ، محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب ــ لأبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : الدكتور مصطفى أحمد النماس ، مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

ــ أسرار العربية ــ لأبي البركات الانباري (ت ٥٧٧ هــ) ، تحقيق : محمد بهجت البيطار ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٥٧ م .

ــ الاشباه والنظائر في النحو ــ لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هــ) ، راجعه وقدمه له الدكتور فايز نرجزي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٨٤ م .

ــ اشتات مجتمعات ــ عباس محمود العقاد ، القاهرة ١٩٦٦ م .

ــ الإشتقاق ، ابن دريد ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة خانجي ١٩٥٨ م .

ــ الاشتقاق والتعريب ــ عبد القادر المغربي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٤٧ م .

ــ أمالي الزجاجي لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠ هــ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٢ هــ ــ ١٩٦٣ م .

ــ أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه ــ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي (ت ٥٨١ هــ) ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، مطبعة السعادة، ط ا ، ١٩٧٠ م.

ــ أمالي المرتضى (غُرر الفوائد ودرر القلائد) لأبي القاسم علي بن الحسين (المعروف بالشريف المرتضى) (ت ٤٣٦ هــ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة، ١٣٧٣ هــ ، ١٩٥٤ م .

ــ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن ــ لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هــ) ، دار الكتب العربية ، بيروت ١٣٧٩ هــ .

ــ إنباه الرواة على أنباه النحاة ــ لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هــ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٥م .

ــ الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الانباري (ت ٥٧٧ هــ) ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الفكر ، دمشق ١٩٥٥ م .

ـــ الإيضاح في علل النحو ــ لأبي القاسم الزجاجي (ت ٢٣٧ هــ) ، تحقيق : مازن المبارك ، مطبعة المدني ، بيروت ١٩٧٣ م .

ـــ إيضاح الوقف والابتداء (لمحمد بن قاسم ابن الانباري) (ت ٣٢٨ هــ) ، تحقيق : محيى الدين رمضان ، دمشق ١٩٦٩ م .

حرف الباء

ـــ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ــ الدكتور أحمد مختار عمـــر ، ط٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

ـــ البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هــ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، مطبعة دار التأليف ، مصر، ١٣٨٨ هــ ، ١٩٦٨ م .

ـــ بين الكتب والناس ــ عباس محمود العقاد ، بيروت ١٩٦٦ م .

حرف التاء

ـــ تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هــ) تحقيق : أحمد الصـــقر ، دار إحياء الكتب ، د ــ ت .

ـــ تأويل مشكل غريب القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٧٣ م .

ـــ تاج العروس من جواهر القاموس ــ لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هــــ) ، تحقيق : مصطفى حجازي ، دار الجيل ، الكويت ١٩٧٠ م .

ـــ تاريخ آداب العرب ــ مصطفى صادق الرافعي ، مطبعة الاتفاق ١٩٤٠م .

ـــ تأريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، القاهرة ١٩٥٧ م .

ـــ تأريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية الدكتور رمضان عبـــد التـــواب ، راجع الترجمة الدكتور سيد يعقوب بكر ، ط ٢ ، دار المعارف ١٩٧٧ م .

ـــ تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الدكتور جواد علي ، بغداد (١٩٥١ ــ ١٩٥٨) .

ــ تاريخ اللغات السامية ــ إسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٩٢٦م.

ــ التصريح على التوضيح ــ الشيخ خالد الازهري (ت ٩٠٥ هـــ) مطبعـــة الاســتقامة ، القاهرة د ــ ت .

ــ التعريب ومستقبل العربية ، عبد العزيز بن عبد الله ، القاهرة ١٩٧٥ م .

ــ التطور النحوي ــ برجشتراسر ، بعناية محمد حمدي البكري ، مطبعـــة الســماح ، مصـــر ١٩٢٩ م .

ــ تهذيب اللغة ــ لابي منصور محمد بن أحمد الازهري (ت ٣٧٠ هـــ) تحقيـــق : عبـــد السلام محمد هارون وآخرين ــ المؤسسة المصرية العامة للتـــأليف والأنبـــاء والنشـــر ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـــ ، ١٩٦٤ م .

حرف الثاء

ــ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ــ للرماني ، والخطابي ، والجرجاني ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول ، دار المعارف بمصر د ــ ت .

حرف الجيم

ــ جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن ــ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبـــري (ت ٣١٠ هــ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٨ م.

ــ جمهرة اللغة ــ محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هــ) ، طبعة حيدر آباد (١٣٥٠ هــ) .

حرف الحاء

ــ الحجة في القراءات السبع ــ لأبن خالويه (ت ٣٧٠ هــ) ، تحقيق : الدكتور عبد العـــال سالم مكرم ، دار الشروق ، ط٤ ، ١٩٨١ م .

ــ حجة القراءات ــ لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة (ت في القرن الرابـــع الهجـــري) ، تحقيق : سعيد الافغاني ، منشورات جامعة بنغازي ، ط١ ، ١٩٧٤م .

ـــ الحركة الاستشراقية مراميها وأغراضهاـــالدكتور رشيد العبيدي،بغداد ٢٠٠٣ م.

ـــ حياة الحيوان الكبرى ـــ كمال الدين الدميري ، (ت ٨٠٨ هـــ) ، ط٣ ، ١٩٥٦م .

حرف الخاء

ـــ خاص الخاص ، الثعالبي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ـــ ت .

ـــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـــ الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـــ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ١٩٨١ م .

ـــ الخصائص ـــ لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـــ) تحقيق : محمد علـــي النجـــار ، ط٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت أوفسيت ، عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة (١٩٥٢ ـــ ١٩٥٦ م) .

حرف الدال

ـــ دراسات في العربية وتاريخها ـــ للشيخ محمد الخضر حسين ، ط٢ ، الناشر المكتب الإسلامي ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ١٣٨٠ هـــ ، ١٩٦٠ م.

ـــ دراسات في فقه اللغة ، الدكتور صبحي الصالح ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

ـــ الدراسات اللغوية عند العرب ـــ الدكتور محمد حسين آل ياسين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٨٠ م.

ـــ دراسة نقدية في الشعر العربي د ـــ ت .

ـــ دراسات نقدية في النحو العربي ـــ الدكتور عبد الرحمن أيوب ، القاهرة ، ١٩٥٧ م.

ـــ (دلائل الاعجاز في علم المعاني) ـــ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـــــ) ، تحقيـــق : محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، مطبعة الفحالة ١٩٧٤م.

ـــ دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء ـــ الدكتورة بتول قاسم ناصر،بغداد ، ١٩٩٩ م.

ـــ ديوان أبي الأسود الدؤلي ، حققه وشرحه وقدم له عبد الكريم الدجيلي ، ط١ ، شركة النشـــر والطباعة العراقية المحدودة ، بغداد ١٩٧٣ م .

ـــ ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) ، تحقيق : رودلف جابر ، شرحه وعلـــق عليـــه الدكتور محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجمامير ، ١٩٥٠ هـــ .

ـــ ديوان أمرئ القيس ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .

حرف الراء

ـــ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ـــ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١ هـــ) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ١٩٧٢ م .

حرف الزاي

ـــ الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية ، أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـــ) تحقيق : حســـين بن فيض الله الهمداني ، ط٢ ، مطبعة دار الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٧ م .

حرف السين

ـــ القراءات السبع ـــ لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـــ) ، تحقيق : الدكتور شـــوقي ضـــيف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٨٠ م .

ـــ سر صناعة الإعراب ، لابن جني (ت ٣٩٢ هـــ) تحقيق : مصـــطفى الســـقا وآخـــرين ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .

ـــ سر الفصاحة ـــ لأبن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـــ) ، تحقيق : عبد المتعال الصـــعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ١٩٦٩ م .

ـــ سنن النسائي ـــ أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، بشرح الســـيوطي ، الطبعـــة المصـــرية بالأزهر ، القاهرة ١٩٣٠ م .

حرف الشين

ـــ شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـــ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر ـــ د ـــ ت .

ـــ شرح أبيات سيبويه ـــ لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـــ) ، تحقيق : الدكتور محمد علي السلطاني ، مطبعة الحجاز بدمشق ١٩٧٦ م .

ـــ شرح الاشموني على الفية ابن مالك بحاشية الصبان ـــ لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد الاشموني (ت ٩٢٩ هـــ) ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ـــ مصر د ـــ ت .

ـــ شرح الرضي على الكافية ـــ لرضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـــ) ، تصحيح وتعليق ، يوسف عمر ، ١٣٩٨ هـــ ، ١٩٧٨ م.

ـــ شرح المفصل ـــ لأبن يعيش (ت ٦٤٣ هـــ) ، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء ، دار المطبعة المنبرية بمصر ، د ـــ ت .

حرف الصاد

ـــ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥ هـــ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة د ـــ ت .

ـــ الصرف الوافي " دراسة تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية "

الدكتور هادي نهر ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ١٩٨٩ م .

حرف الضاد

ـــ ضحى الإسلام ـــ أحمد أمين ، الطبعة الأولى دار الكتاب العربي ، بيروت ـــ لبنان ١٩٧٤ م .

حرف الطاء

ـــ طبقات فحول الشعراء ـــ لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـــ)، تحقيق : محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٧٤ م .

حرف الظاء

ـــ ظاهرة التنوين في اللغة العربية ، الدكتور عوض المرسي جهاوي ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ١٩٨٢ م .

حرف العين

ـــ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـــ لأبن خلدون ، بيروت ١٩٧١ م .

▬ عبقرية اللغة العربية ــ عمر فروخ ، بيروت ١٩٨١ م .

▬ العرب وظهور الإسلام ــ الدكتور محمد مصطفى النجار ، منشورات الجامعة الإسلامية .

▬ العربية والبحث اللغوي المعاصر ــ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ٢٠٠٤ م .

▬ العصر الجاهلي ــ الدكتور شوقي حنيف ، دار المعارف ١٩٧١ م .

▬ العقد الفريد ــ لأبن عبد ربه (ت ٣٢٨ هــ) ، تحقيق : أحمد آمين وآخرون ، القاهرة ١٩٦٥ م .

▬ علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٦٢ م .

▬ العمدة لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هــ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار السعادة ، مصر ، د ــ ت.

▬ عيون الأخبار ــ لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هــ) ، دار الكتب القاهرة ١٩٢٥م .

حرف الفاء

▬ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هــ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٩ م .

▬ فجر الإسلام ــ الدكتور أحمد أمين ، القاهرة ١٩٧٥ م .

▬ فقه اللغات السامية ــ كارل بروكلمان ــ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، جامعة الرياض ١٩٧٧ م .

▬ فقه اللغات العاربة المقارن ، مسائل وآراء ، خالد اسماعيل، د ــ ت .

▬ فقه اللغة ــ الدكتور علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة بمصر ١٩٤٥ م .

▬ فقه اللغة المقارن ــ الدكتور إبراهيم السامرائي ، بيروت ١٩٨٦ م .

▬ فقه اللغة وخصائص العربية ــ دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد ، محمد مبارك ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٦ م .

▬ فقه اللغة وسر العربية ــ لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠ هــ) ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، مصر ، د ــ ت .

▬ في أصول النحو العربي ــ سعيد الافغاني ، بيروت ، د ــ ت.

▬ في الأدب الجاهلي ، طه حسين (١٣٩٣ هــ) ، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨ م .

▬ في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٣ م .

▬ في سبيل تيسير العربية وتحديثها ــ فؤاد ترزي ، بيروت ١٩٧٣ م .

حرف القاف

▬ القاموس المحيط ــ للفيروز آبادي (ت ٨١٧ هــ) ، دار الجيل ، بيروت ، د ــ ت .

حرف الكاف

▬ الكتاب ــ عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠ هــ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د ــ ت.

▬ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هــ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٨٦ م .

حرف اللام

▬ لسان العرب ــ لابن منظور (ت ٧١١هــ) ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م.

▬ اللغات السامية ــ تيودور نولدكه ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة دار النهضة العربية ، المطبعة الكمالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

▬ اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

▬ اللغة بين القومية والعالمية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٧٠ م .

▬ اللغة العربية وآدابها ــ محمد التونجي ، بنغازي ، د ــ ت .

▬ اللغة العربية بين حماتها وخصومها ــ أنور الجندي ، القاهرة ، د ــ ت .

▬ اللغة العربية معناها ومبناها ــ الدكتور تمام حسان ، الدار البيضاء ، د ــ ت .

▬ اللغة والنحو ــ الدكتور حسن عون ، الاسكندرية١٩٥١ م .

▬ اللغة والنحو بين القديم والحديث ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٦ م .

▬ لغتنا والحياة ــ الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، دار المعارف ، ١٩٧١م .

ـــ لغة القرآن في جزء عم ـــ الدكتور محمود نحلة ، بيروت ١٩٨١ م .

ـــ اللهجات العربية وأثرها في القراءات القرآنية ـــ الدكتور عبد الرحمن الراجحي، القاهرة ١٩٨٦ م .

حرف الميم

ـــ مباحث في علم اللغة واللسانيات ـــ الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، بغداد ، (٢٠٠٢ م) .

ـــ محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ـــ الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ١٩٥٩ م .

ـــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـــ لابن الاثير (ت ٦٧٣ هـــ) ، تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، القاهرة ١٩٥٩ م) .

ـــ المرتجل ـــ لابن الخشاب (ت ٥٦٧ هـــ) ، تحقيق : علي حيدر ، طبع بدمشق ، ١٣٩٢ هـــ ، ١٩٧٢ م .

ـــ مجموع اشعار العرب ـــ ديوان العجاج ، طبعة ١٩٠٣ م .

ـــ مختصر في شواذ القراءات من كتب البديع ـــ لأبن خالويه (ت ٣٧٠ هـــ) ، عني بنشره برجشتراسر ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٩٣٤ م .

ـــ المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ، عبد المجيد عابدين، القاهرة ، ١٩٥١ م .

ـــ المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله ، الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـــ) تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ هـــ ، ١٩٩٠ م .

ـــ المدخل إلى علم اللغة ، الدكتور محمود نحاتي ، القاهرة ١٩٧٦ م .

ـــ المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ـــ موسكاتي ، ترجمة الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور عبد الجبار المطلبي ، عالم الكتب ١٩٩٣ م .

ـــ مدرسة الكوفة ، الدكتور مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٩٥٨ م .

ـــ مراتب النحويين ـــ لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـــ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

ـــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي (ت ٩١١هـــ) ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار إحياء الكتب العربية ، د ـــ ت .

ـــ مسائل خلافية في النحو ـــ لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـــ) ، تحقيق : محمد خير الحلواني ، مكتبة الشبهاء ، دمشق ، د ـــ ت .

ـــ معاني الابنية في العربية ، الدكتور فاضل السامرائي ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١م.

ـــ معاني القرآن ـــ لأبي زكريا الفراء (٢٠٧ هـــ) ، تحقيق : محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب بيروت ١٩٨٣ م .

- معجم الآدباء ــ شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هــ) ، تحقيق : المستشرق مرجليوث ، القاهرة ١٩٠٨ م.

- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، المعجم الانكليزي بين الماضي والحاضر ، داود حلمي السيد ، الكويت ، ١٩٧٨ م .

- معجم القراءات القرآنية ــ الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم ، ط٢ ، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٨٨ م .

- مغامرات لغوية ــ عبد الحق فاضل ، بيروت ، د ــ ت .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ــ لأبن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هــ) ، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، بيروت ١٩٦٤ م .

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الدكتور جواد علي ، بيروت ١٩٧٦ م.

- المقتضب ــ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هــ) ، تحقيق : عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٣ م .

- مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هــ) مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د ــ ت .

- المعجم العبري العربي الحديث ــ الدكتور ربحي كمال ، بيروت ١٩٧٥ م .

- من أسرار اللغة ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦م .

- منطق أرسطو ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن بدوي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

- من قضايا اللغة والنحو ــ علي النجدي ناصيف ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

- مناهج تجديد في النحو والصرف والبلاغة ــ أمين الخولي ،القاهرة ١٩٦١ م .

- مولد اللغة ــ الشيخ أحمد رضا العاملي ، بيروت ١٩٦٥ م .

حرف النون

- نتائج التحصيل في شرح التسهيل ، الدلائي ــ تحقيق ، الدكتور مصطفى العربي، بنغازي ، د ــ ت .

- نحو عربية أفضل ــ الجنيدي خليفة ، بيروت ١٩٧٤م .

- نحو عربية ميسرة ، الدكتور ابراهيم أنيس ، ط٤ ، بيروت ، د ــ ت .

ـــ نزهة الالباء في طبقات الأدباء ــ لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ألانباري (ت ٥٧٧ هــ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل، القاهرة ١٩٦٧ م.

ـــ نسيم الرياض بشرح شفاء القاضي عياض ، الشهاب الخفاجي (ت هــ) القاهرة ، ١٣٢٥ هــ .

ـــ النشر في القراءات العشر ــ لابن الجزري (ت ٨٣٣هــ) ، القاهرة ، د ــ ت.

ـــ نشوء اللغة ونموها واكتمالها ــ انستاس ماري الكرملي ، القاهرة ١٩٣٨ م .

ـــ النهاية في غريب الحديث والاثر ــ لابن الاثير (ت ٦٠٦ هــ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناوي ، الحلبي ١٩٦٣ م .

حرف الهاء

ـــ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ــ لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هــ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٨٠ م .

حرف الواو

ـــ الوساطة بين المتنبي وخصومه ــ القاضي عبد العزيز الجرجاني(ت ٣٦٦ هــ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل ، وعلي محمد البجاوي ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٦م .

ـــ وفيات الأعيان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١ هــ) مطبعة السعادة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ م .

الدوريات

١ــ مجلة العربي الكويتية ــ العدد ٨١ ، أغسطس ، آب ، ١٩٦٥ م .

٢ــ مجلة العربي الكويتية ــ العدد ١٠٦ ، سبيمتر ، أيلول ، ١٩٦٧ م .

٣ــ مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٢٤٢ ، لسنة ١٩٧٤ م .